



# تفسير الخياط

الأول

المكي

الجزء

السيد عبد الحميد الخياط

المدرس بالمسجد الحرام

وعضو مجلس الشورى للمملكة العربية السعودية

بمطبعة دار المطبوعات والنشر في الرياض

الطبعة الأولى

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلَقَدْ بَيَّنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْكُمْ

## تَقْرِيبٌ

هَذَا كِتَابُ اللَّهِ قَدِ فَيَّرَهُ بِطَرِيقَةٍ تَسْمُو عَلَى الْأَسْبَابِ  
أَزْلَمَ أَوْ ذَلَمَ ظَاهِرَ الْأَلْفَاظِ مَا قَدْ تَشَابَهَ مِنْ كَلِمَاتِ اللَّهِ  
بَلْ قَدْ بَيَّنَّتِ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى بِمَا سَمَّاهُ تَذْكَيرُهُ هُوَ لَاهٍ  
وَجَسَّتْ فِي الْمَفْرُوعِ مَا خَدَّ سَارَّ الْأحكامَ مِنْهُ أَوْ أَمْرٍ وَنَوَاهِي  
وَأَسْرَبَتْ فِيهِ إِلَى الْقَدَرَاتِ لِي وَرَدَّتْ لِي فَطَهَرَ كُلَّ مَنْ هُوَ سَاهٍ  
وَسَأَلْتُ مَنْ رَضِيَ فَنَاءً فِي هُوَ هَذَا عَيْشٌ بِفِيهِ رَبُّ اللَّهِ  
وَلَقَدْ وَفَّقْتُ بِأَنَّهُ سَجِيْبِي وَغَدَوْتُ الْهَرِيَّ عَمْدَهُ وَأَبَاهِي  
وَأَقْبَسَ مَا يَأْتِي عَلَى مَا قَدْ رَضِيَ وَأَظْلَمَ نَفْسِي طَابِعِي زَاهٍ  
أَفْعُو تَجِيْبُ طَابِعِي بِأَسْنِ عَيْبِي بِالسَّالِكِيهِ وَأَنْتَ مَصْدَرُ حَاهِي  
حَاهِيًا فَجُودُكَ لِأَجْمَدِ وَأَنْتِي تَعْبُدُ وَإِنَّكَ يَا عَجْمَةَ الْإِلَهِي  
فَانْصَرَفَ وَجْهِي بِالْقَبُولِ وَالرَّضَى وَأَجْمَلُ تَضَعِي وَالْجَمَالَ الْبَاهِي  
فَخَرَّ الرَّجُودُ مُحَمَّدٌ أَصْلَى عَلَيْهِ هَذَا هَذَا الْمَوْلَى الْعَظِيمُ الْجَاهِ  
وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ بِأَسْنِ نَفْسِهِ فَيَا قَدِيمُ لَيْسَ بِالْمُنْتَاهِي

الْقَطِيبُ

# هذا بلاغ

للناس وليُنذروا به وليعلموا أنها هُوَ الْآلَهُ  
وَاحِدٌ وَلِيُذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ .  
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ  
وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ  
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا .  
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ  
لِيُذَكَّرَ بِهِ آيَاتِهِ وَلِيُذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ .  
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

مقدمة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذى خلق الجنّ والإنس لعبادته ، وجعل الأرض والسماء آيات يينات على قدرته ، وأرسل الأنبياء والمرسلين لتبليغ رسالته ، وأنزل الكتاب لبيان شريعته ، وسنّ الإرشاد للدلالة على عظمته ، ودعا العباد إلى ما يقربهم من حضرته ، والصلاة والسلام على خاتم رسله ، وصفوة أنبيائه « محمد » بن عبدالله، الذى اصطفاه ربه من البشر واجتباها ، وعلى آله وأصحابه نجوم هدايته وشموس شريعته .

أما بعد : فقد أنزل الله القرآن بلاغا من لدنه للناس أجمعين ، وأمرهم بالإصغاء إليه ، وتدبر معانيه ، وإمعان النظر فى مغزاه ومراميه ، ليسيروا فى حياتهم وفق قوانينه ، وعلى ضوء إرشاداته وتعاليمه ، وليتعظوا بما جاء فيه من قصص الأولين ، وما اشتمل عليه من العبر والعظات التى لا تخفى على الأذكياء النابهين ، وليحذروا مما أخبر عنه من أهوال يوم الدين ، وليعملوا لإدراك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . ولقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يسمعون القرآن ويتفهمونه على هذا الاعتبار ،

فتأخذهم الخشية من الله الجبار ، ويؤثر الخشوع في نفوسهم ، وتستولى  
 المؤثرات الفعالة على عواطفهم ، وتتغلب العبرات على مشاعرهم ، فيمضون  
 لتنفيذ أمر ربهم والعمل على مرضاته ، ويتدارسون القرآن ، وينظرون فيه  
 نظرة المتبصر الحكيم ، فيستنيرون بأحكامه ويسترشدون بمنار تبيانته ،  
 ويأتمرون بأوامره ونواهيه ، ومقاصده ومراميه ، فتأخذهم الرهبة فيذعنون ،  
 وتسلمهم الرحمة فيخشعون ، وعلى ربهم يقبلون ، فيتذكرون ويذكرون  
 والإيمان رائداهم ، ويتفاهمون فيفهمون والصدق حديثهم ، والذكرى  
 تنفع المؤمنين .

أجل إنهم اعتبروا القرآن قائداً لهم في الحياة فطبقوه فيما بينهم وبين  
 الله وبينهم وبين سواه ، واستسلموا لأحكامه في أحوالهم الشخصية ،  
 وتأدبوا بأدابه ، وتخلقوا بخلقته ، وساروا على منهاجه ، فاندفعوا إلى طاعة الله  
 واجتنبوا نواهيه ، بياث نفسي ونية خالصة ، ورغبة في الخير لمجرد الثواب  
 وبعداً عن الشر خوفاً من العقاب ، بقلوب ملؤها حب الله ، والخوف من  
 غضبه ، وبذلك تمكن الإيمان من قلوبهم ، حتى سادوا العالم وفتحوا  
 الأمصار ونشروا الدين في كل مكان ، وتم لهم بذلك النصر والسلطان .

ولقد عنى الفقهاء والعلماء والمجتهدون باستنباط الأحكام من بعض  
 آي الذكركر الحكيم ، وخرّجوا الفروع من الأصول ، ودونوها في كتبهم ،  
 فيسروا للناس طريق الاتباع والافتداء ، وبنوا لأمتهم الشريعة السمحاء  
 كما بلغها صاحب الرسالة الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ودوتوا حدود الحلال  
 والحرام والحق والباطل ، وأوضحوا للعالم الإسلامي الأوامر والنواهي على  
 اختلاف أنواعها ، وقاموا بما عهد إليهم من أداء الرسالة على الوجه الأكمل

وبالطريق المشروع ، وكانوا في جميع أمورهم مع الله باتباع القرآن الكريم فكان الله معهم ، ووحدها كلمتهم ، ونظموا صفوفهم ، فأخذ الله بأيديهم وأزرهم ونصرهم نصراً عزيزاً ، وأمدهم بروح من عنده ومنحهم الحسنى وزيادة ، ولم يجعل للأمة الإسلامية لنيل مجدها حداً محدوداً أو أمداً موقوتاً ، بل قضت إرادة الله أن الأمة التي تجعل القرآن إماماً لها وقانوناً لأعمالها ودستوراً وميزاناً لجميع شئونها لا تسقط من عرش مجدها وعزتها إلا إذا مالت عن الحق وهجرت كتاب الله ولم تتبع أسرارته وحكمه ، وتجاخت عن تعاليم صاحب الشريعة الإسلامية « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَمْ حَتَّىٰ يَغَيِّرُ مَا بَأَنفُسِهِمْ » أجل إن أسرار القرآن لتتكشف للباحثين ، وأحكامه تتبين للناظرين ، وبلاغته وفصاحته تظهر للمفكرين ، ألا إن للقرآن سلطاناً و قدسية على النفوس ، وله من قوة التأثير ما تخرله الرؤوس ، ومن الأسرار الربانية ما هو محسوس وملحوس ، ففي القرآن من القصص الصادقة ما يصور للناس مصير الظالمين ، وفضيلة التمسك بالدين ، والاعتماد على رب العالمين ، وفي القرآن ما يعلم الناس كيف يكون الجهاد لنصرة الحق ، وما تقتضيه سنة الله في الخلق ، وثمره الثبات ونتيجة الخيانة ، ومزية التوحيد ، وعاقبة الموحدين ، بشتى الطرق فى الترغيب والترهيب ، بأسلوب رائع وعبارة جذابة ، أنزلها الله من عنده ، فهى كقيلة بتذكير القلوب بباريها ، واستمالتها إلى خالقها وهاديها ، لو أنها تليت على الناس على حالتها ، وكانوا على علم تام باللغة ، تمكنهم من فهمها واستخراج العبر من بين ثناياها ، فإله سبحانه وتعالى قد أنزل هذه الآيات فى منتهى البلاغة والإعجاب :

آيات حق بها أوحى الأمين إلى  
وما يلوح من الذكر المنزه عن  
محكات تعالي الله منزلها  
أعيت فصاحتها الأبواب فانبهرت  
وقد تحدى بها أفذاذ أمته  
لها معان سمت لم يدر غايتها  
فيها المواعظ والأمثال شاخصة  
فيها الحقائق عن أخبار من سلفوا  
فخر النبیین عما خط بالقلم  
رب ومن يدعى الإنكار فهو عی  
أكرم بأول من قد قالها بقم  
لها وآمن منها صاحب الفهم  
فأذعنوا أنها من قول ربهم  
إنس تشع مع الأيام بالحكم  
وهی الأساس لما فی الشرع من نظم  
وعن مصیر الوری من بعد مزدحم

\*\*\*

ومما يؤسف له أننا في عصرنا هذا عصر الحضارة والعلم ، قد أهملنا  
أمر دراسة القرآن دراسة تدبر وفكر ، ولم ننظر إلى قوله تعالى :  
« أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا . إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى  
أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ .  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ  
الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ » وقوله تعالى : « حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ  
بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ . لَاتَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَاتَنْصِرُونَ .  
قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ .  
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ . أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ  
يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ . أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ »



وقوله تعالى : « وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا » .

أجل لقد اكتفينا بتلاوة القرآن مجرد التعبد والبركة ، لا للموعظة والهداية ، وتنوير الأفكار من الغواية ، ولم نتأمل في مثل هذه الآيات حتى قست القلوب ، وبعدت عن علام الغيوب ، وتقلص الإيمان ، وتلاشت التقوى ، وانهارت معالم الدين ، ومادت رواسي الحق واليقين ، وتقوضت مكارم الأخلاق ، واندثرت محاسن الآداب ، وقد حل بالأمة الإسلامية الذل والهوان ، والفقر والضعفة في كل مكان ، بعد أن كانت لها العزة والكرامة ، والسيطرة والمهابة ، فبتقصيرنا في دراسة القرآن والاهتداء بهديه أطفأ نور الإسلام ، وبأعمالنا حقت علينا كلمة العذاب ، وأصبح المسلمون اليوم في معزل تام عن الاتئار بأمر ربهم والانتباه عن ما نهى عنه ، وأصبحنا في وقت لانفهم فيه ما يقول القرآن ، ولا ما إليه يشير ، بل نحن عنه معرضون ، وعن حديثه لاهون ، وإن كنا لسماح ألحانه طربين ، وعلى حمله للبركة جريصين ، وأصبحنا في وقت لا نحرص على الأخذ بما جاء فيه كحرصنا على الأخذ بأقوال العلماء والمفسرين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولقد صدق علينا قول ربنا : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى » والدين يأمرنا أن نعمل على تلاوة القرآن وتفهم معانيه ، واستخراج العبرة من بين ثناياه ، وتذكير الناس بما جاء فيه حتى تغمر القلوب بهديه ،

وتصلح السرائر بوعظه ، فإن إيقاظ القلوب وإصلاح السرائر هما من أهم ما يعيننا ، وهما خير ما يكفل لنا السعادة في الدارين .

ولقد أخبرنا الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم من قبل بكل ما نحن فيه اليوم ، ووصف لنا سبيل الخلاص من ذلك حيث قال « يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى على القصة أكلتها قالوا أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال لا بل أتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وليزغن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكره الموت » وقال أيضا « لازتم منصورين على أعدائكم مادتم متمسكين بسنتي فإن خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتي » وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليمه التي انتصر بها المسلمون في الصدر الأول ، والأسس التي أقاموا عليها عزهم ومجدهم ، وغلبتهم للشرق والغرب ، ليست سرا من الأسرار ، ولا هي في يد فريق دون آخر من الناس ، بل هي بعينها لا تزال موجودة للجميع ، سليمة ظاهرة واضحة كما تركها الرسول صلى الله عليه وسلم من غير تبديل أو تعديل ، وهي ما أشار إليها صلى الله عليه وسلم بقوله « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي » وقوله « من اقتدى بكتاب الله لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة » ثم تلا قوله تعالى : « فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى » وقوله « اعملوا بالقرآن وأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واقتدوا به ، ولا تكفروا بشيء منه ، وما تشابه عليكم فردوه إلى

الله وإلى أولى الأمر من بعدى كما يخبركم ، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزرور  
وما أوتى النبيون من ربهم، ليشفعكم القرآن وما فيه من البيان ، فإنه شافع  
مشفع ، ما حلّ مصدق ، ولكل آية من آياته نور إلى يوم القيامة » وقال  
على رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول « ألا إنها  
ستكون فتنة ، قلت فما الخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله ، فيه نبأ  
ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من  
تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو  
حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى  
لا تزيج به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ،  
ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن  
إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدى إلى الرشد فأمننا به - من قال  
به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى  
إلى الصراط المستقيم » .

ولقد أهملنا الاستفادة من هذا القرآن فحل بنا ما حل من الخطوب  
والأحداث ؛ وفي إمكاننا تدارك الأمر ، والرجوع إلى سنة سيد الخلق بدراسة  
القرآن والاهتداء بهديه لاستعادة ذلك الماضى الحيد ، والظفر بالسعادة  
والسؤدد العظيم ، فقد ورد فى الأثر « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح  
به أولها » .

أجل لقد أهملنا الاستفادة من القرآن ، وقصرنا فى واجبنا نحو هذا  
الدين ، حتى أصبحنا فى مؤخرة الأمم وأضعف الشعوب ، وحتى أمسينا  
عرضة لنقد الناقدين من غير المسلمين .

فلقد حدثني بعض المثقفين من المسيحيين قائلاً: لا أدرى لماذا لا يعمل المسلمون على نشر الدعوة الإسلامية بواسطة كتابهم المقدس الذي بين أيديهم وهو (القرآن) بأسلوب سهل يتيسر فهمه لكافة الناس؟ فنحن المسيحيين نعني كثيراً بالجمعيات التبشيرية لدين المسيح ولا عمل للقيس إلا تلاوة الإنجيل للناس، وتفسيره لهم وحضهم على اتباع ما جاء به، أما أتم أيها المسلمون فعلاً وكم قد انصرفوا عن الدعوة الإسلامية ولم يعنوا إلا بالكتب الفقهية من وضع الأئمة الأربعة وغيرهم، وهي في الواقع لا تؤدي ما يؤديه القرآن لو سهل تناوله، ونظمت طرق الاستفادة منه؛ وهو إلى جانب هذا يكاد يكون لغزاً من الألغاز في شكله ومعناه، حتى إن كثيراً من المسلمين لا يستطيعون تلاوته من غير طريق شيخ من شيوخ الدين، إذ هو في رسمه لا يكتب إلا برسم المصحف العثماني، وهو مغاير لقواعد الرسم المتعارف في هذا الزمان بين الناس فإذا قرأه غير المسلم بل وغير القراء من الفقهاء، لا يمكنهم أن يتلفظوا به ولا بأسلوبه العربي المبين.

وأتم بهذا تحولون بين القرآن والناس وكأنكم لا تريدون أن يهتدى به أحد من غير المسلمين، وكأنكم تقصدون أن يستأثر به الخاصة من العلماء ليس إلا، والله سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن إلا للناس كافة، بل ربما كان العامة من الناس هم المقصودون بالهداية، أضف إلى هذا أن التفاسير المتداولة بين الناس متمشية على طريقة القدامى الأولين وعلى أنواع مختلفة الأوضاع والأساليب، فمنها المختصر الذي لا يفيد ومنها المطول الملل، والذي جمع كل شيء إلا التفسير وجلها لا تتلاءم مع عصرنا هذا (عصر السرعة)

وقد ملئت تلك التفاسير بمصطلحات العلوم الفقهية والنحوية والصرفية، وبالأصول وعلم الكلام، والبلاغة من المعاني والبيان والبديع، علاوة على ما هنالك من الإسرائيليات وأقاصيص المهرجين وأباطيل المبتدعة المخالفة للصدق، والخارجة عن المعقولات ومواطن الحق. وقد تناقلها المفسرون حتى ظنها الكثير من الناس حقيقة لا ريب فيها، وأنها من أساس الدين. وإن عصرنا المتحضر يتطلب روحاً حديثة وعبارات تتناسب مع الزمن وأهله وتتفق مع مستوى الجيل الجديد وعصره المتحضر.

أما الأسلوب القديم وما كانوا عليه في العصور الخالية فإنه وضع لعصر غير عصرنا وزمن غير زمننا ولماذا لا تكتبون القراء آن حسب ما تقتضيه قواعد الرسم والمخطوطات الحديثة لينتفع به المسلمون وغيرهم ويفهموا كلام الله وأساره وتتجلى لهم معجزاته؟ وهل لا يوجد من العلماء من يفسر لنا كلمات القراء آن ومفرداته اللغوية، ويشرحها شرحاً وافياً على حقيقة ماهيتها بحسب ما يفهمه العربي الصميم عند سماعه لأي ذكر الحكيم، ويرشدنا إلى أسباب الاختلاف في الأحكام الدينية باختلاف المذاهب، ما دام المرجع والأصل للجميع واحداً وهو القراء آن؟

لكل هذا أخذتني الغيرة الدينية على الإسلام والمسلمين، وفكرت طويلاً في وضع هذا التفسير لاعتقادي الصحيح و يقيني الصادق بأن القراء آن إنما أنزل ليكون قانوناً ودستوراً ومنشوراً إلهياً للعالم أجمع من قبل مالك الملك وصاحب السلطان العام، والحكم المطلق رب العالمين. قال تعالى: « هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ » فمن اللازم على كل فرد أن يستمع لهذا البلاغ والنداء،

باعتباره موجهاً إليه، ومن الواجب على كل إنسان أن يتدبره ويعمل بمقتضاه فإذا ما أذيع ونشر هذا (البلاغ) بين الأنام بعد أن توضح كلماته ومعانيها على الوجه المطلوب، وتلقاه الناس على اختلاف أجناسهم ونحلهم على هذا الاعتبار، وفهموه كما فهمه العربي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كفيلاً باستنارة العقول وطهارة القلوب ورفق النفوس وسمو الأرواح. فالقرءآن الكريم يكشف عن البصر والبصيرة، وينقى السر والسريرة، ويدفع إفاك الأفاكين ودس الدساسين من الزنادقة والملحدن، فبالقرءآن تتجافى النفوس عن التعصب المقوت، وتبلغ به أسمى الغرض المقصود لتوحيد الرب المعبود، والإقرار والإذعان بصدق صاحب الشريعة الإسلامية النبي الأُمى صلى الله عليه وسلم.

أجل إن القرءآن الكريم بأسلوبه الحكيم، صالح لكل زمان ومكان والتدبر والتفكير فيه يأخذان بزمام القارئ الكريم إلى إيجاد أسمى المعاني وأرقى الأساليب، ويؤديان إلى الوقوف على أسراره الإلهية وحكمه الربانية والقرءآن كفيلاً بالهداية الشاملة والخير العام والإصلاح النافع، لأن يجعل الأمة الإسلامية في المستوى اللائق بكرامتها، وفي المنزلة السامية لأصالة محتدها؛ فالأمة المحمدية عريقة المجد، دينها الإسلام، ودستورها القرآن، فبعضته وإعجازه وقديسته يبلغها ما تريد وما ترضاه لنفسها من خير دائم وعز مقيم.

## حقيقة القراء آن ومعجزاته

لاغرو في هذا فإن كتابها  
 جمع الفضائل في ثنياه وما  
 هو (ندوة) علمية رمزت إلى  
 هو (آية) فيها المعاني والبيبا  
 وكذا البلاغة والبديع بحيث أء  
 حتى أقروا أنها من ربهم  
 هو (معجم) للغات يعرب كلها  
 هو (خير تاريخ) لمن سبقوا من الـ  
 مع ما هنالك من مواضع عبرة  
 وخلاصة الأخبار تشريع لنا  
 هو (خير ما يدعو الفتي) لإلهه  
 هو (حجة المولى) يقدمها لمن  
 هو (دعوة للناس) من رب الورى  
 هو (خير إنذار) لكل معاند  
 هو (خير بشرى) أنزلت للفتة  
 هو (خير هاد) للأنام لكل ما  
 هو خير (دستور) لأحكام العبا  
 هو (خير معجزة) لأمي أتت

هو خير ما يدعى (بموسوعات)  
 تصل العقول إليه بالفكرات  
 كل العلوم ومنتهى الحكمت  
 ن تمثلا في أخصر الكلمات  
 يت مدعى هذين من سمات  
 إذ لم يجاروا أصغر السورات  
 ولها أشار تعدد الصيغات  
 أمم التي مرت مع الحقبات  
 وإشارة لوسائل الخيرات  
 ودلالة لله بالمثلات  
 بأدلة لا تقبل الريبات  
 رام القناعة دون ما إعنات  
 بتعطف وبمنتهى الرؤفات  
 قد صيغ في شىء من الرحمت  
 ين بمنتهى سعد وبالجنات  
 فيه صلاحهم من الطاعات  
 دو وبعضهم ومع العلى الذات  
 شهدت له بالعلم والحكمت

وبحسن أخلاق وعظم ثقافة  
ورجاحة في العقل والتفكير مع  
هو من حكيم ليس يعزب عنه من  
الله أنزله فلا يأتي إلي  
والله ربي لم يفرط فيه من  
والله نزله يبين كل شئ  
وقد احتوى ما في الزبور من العلو  
إذ أنه هو آخر الكتب التي  
وأتى يصدق ما بها وجميع ما

وفصاحة في النطق بالكلمات  
حزم وإقدام وخير صفات  
أمر الوري شئ من الحالات  
باطل من أيما وجهات  
شئ تعالى واسع القدرات  
كان أو سيكون للميقات  
وما بإنجيل مع التوراة  
قد أنزلت من مالك الميقات  
قد جاء فيه جوامع الحكمت

### القرءآن كلام الله<sup>(١)</sup>

لاغرو إن عجز الوري عن مثله  
هو من كلام الله يسره لنا  
وأتى به جبريل نقلا عنه لا  
عربية آياته قد فصلت  
إذ أنما التكليم منه حقيقة  
ناداه موسى استمع لي إنتي

نظما ومعنى أو هدى وعظات  
بلساننا بالنص في الآيات  
بتصرف في الوحي للسورات  
نزل الأمين بها على دفعات  
ثبتت لموسى ساعة الميقات  
أنا ربك المعبود فرد الذات

(١) يعتقد السلف الصالح رضی الله عنهم أن هذا القرءآن الذي نلوه هو كلام الله بذاته. ويقول الخلف: إن كلام الله هو الكلام الأزلي القديم، وإن هذا القرءآن القى نزل به جبريل عليه السلام إنما يعبر عن ذلك الكلام الأزلي القديم، لأن كلام الله ليس بحرف ولا صوت.



فأجاب لبيك استمعت فهل أرا  
 فإذا استقرت عند ما يبدو لها  
 وبلحظة دكت وخر لهول ذا  
 ولقد غدا هذا دليلاً قاطعاً  
 لكن بلا كيف فموسى لم يطق  
 هو منه حاشا أن تقول بخلقها  
 وتلاوة التالين تحكى ذاك لا  
 ك فقال كلا وانظر الصخرات  
 منى التجلى فارتقب رؤيأتى  
 صعباً ونادى تبت من رعمأتى  
 بسماع موسى الحرف والأصوات  
 وصفا لما لا يشبه الهيئات  
 صفة الكلام لصاحب الكلمات  
 مما تعبر عن كلام ذاتى

### وسيلة النطق بكلام الله

فالله ربى قد تكلم بالكلا  
 كلا ولسنا قط ندرك كنهه  
 ولقد حكاه أمينه لنبيه  
 لأنه هو محض معنى صاغه  
 أو ما نرى الآلات فى أيامنا  
 تحكى به نصا للفظ الناس لا  
 كلا وليس مغايراً لحديثهم  
 وكذلك ما (بالأسطوانة) مثبت  
 وبنقلنا لكلام ربي إنما  
 لكن وسيلتنا إلى النطق الحقا  
 فإذا تلوناها تلونا آية

م ولم يكن من مخرج ولها  
 ويجعل عن شبه بمخلوقات  
 بالنص عنه بهذه الآيات  
 من عنده جبريل فى السورات  
 نطقت كلاما ليس باللهوات  
 هو لفظهم بالحرف والأصوات  
 أبداً ولا يعزى إلى (المكنت)  
 كالنقش ليس كحرفهم بالذات  
 فى الخلق نشبه تلكم الآلات  
 رج فهى تبدى الحرف والحركات  
 وكلامه نصاً بلا مريبات

لكننا قد كان ذلك بصوتنا  
 وإذا نسبناه إليه فإنما  
 وعليه فالملفوظ قول إلهنا  
 هو ما به أوحى الإله لعبده  
 وهو الذى فى الصدر محفوظ وما  
 لا ينسب لمن تلاه لأنه  
 وحروفنا والخط فى الورقات  
 يعزى المقال لمنشئ القولات  
 واللفظ كسب حناجر وهات  
 إنشاءه المسطور فى الصفحات  
 يجب التدبر فيه بالإحصات  
 أصل وما التالوت غير روات

### العقيدة فى كلام الله<sup>(١)</sup>

وهو الذى منه أخذنا ديننا  
 إن ما اتبعنا فى العقائد سنة الله  
 فنقول ربى لا إله سواك يع  
 إذ أنت موجد هذه الدنيا ومن  
 لم تتخذ ولدا ولا من والد  
 ما من شريك فى الوجود ولا شف  
 ندعوك وحدك فى البلاء ونستعي  
 وكذلك تؤمن بالنبي محمد  
 وكذلك تؤمن بالملائك إنهم  
 وبه سنبغ أرفع الدرجات  
 مهدي من التسليم والطاعات  
 بد فى الوجود وأنت فرد الذات  
 دانت له الأكوان بالطاعات  
 لك أنت وحدك مجزل النعمات  
 يع دون إذتك ساعة الميقات  
 ن ونزجي الغفران والرحمات  
 عبداً رسولا جاء بالحكمات  
 لم يأنقوا العصيان بالفطرات

(١) أجمع علماء المسلمين على أن عقيدة السلف الصالح أسلم عاقبة وأن كل خير فى اتباع من سلف ، لهذا رأينا أن نلخص عقيدتهم التى كانوا عليها والتزم العمل بها الأئمة الأربعة المجتهدون رضى الله عنهم . كما أتى أشرت إلى رأى بعض علماء الخلف فى ذلك .

ونقول آمنا إلهى بالذى أنزلته فى محكم الآيات  
 إيمان من يؤمن بغيرك مسلماً لك كلما استمصى على الفكرات  
 ومصداقاً بالأنبياء وما به جاءوا من الإنجيل والتوراة  
 ويقيننا بالبعث لاينتابه وهن فثبتنا لبعدهم  
 وصلاتنا مع ميزة الإحسان وفقنا لها من واسع الرحمت

### الاستواء فى كلام الله (١)

أنت الذى قد كنت قبل ولم يكن شئ سواك وأنت فرد الذات  
 لا عرش لا كرسي لا ماء ولا جو وليس هناك من نسمات  
 ما كان من فوقية أو ضدها كلا ولا جهة ولا حالات  
 لكن بخلق الكون أصبح لازماً تحديده فى حيز بجهات  
 أحدثته وجعلت فوق سمائه عرشاً للملك فى ذرى الذرات  
 ولك استواء لائق بك فوقه لسنا نكفيه بمحسوسات

(١) إن عقيدة السلف الصالح فيما يتعلق بالاستواء فى قوله تعالى (ثم استوى على العرش) أنه استواء لائق بجلال الخالق العظيم . ويقولون إلى جانب هذا ما قاله الإمام مالك رضى الله عنه عندما سئل عن كيفية الاستواء ، فأجاب بقوله : الاستواء غير مجهول ، والكيف بالنسبة لله غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة : أى إنه لم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا السؤال ، فما يكون لمخلوق أن يسأل عن كيفية صفات الخالق . ويقول الخلف : إن المراد بالاستواء هو الاستيلاء .

## العلو في كلام الله<sup>(١)</sup>

ولقد سرى ليلا إليك محمد  
حتى دنا من قاب قوسين وقد  
وهناك عند العرش كان خطابه  
فلك العلو مؤكداً لكنه  
بل فوق ما يتصور الإنسان من  
أنت العلى وذلك وصفك ثابت  
أما نزولك للسماء فأنت يا  
لكننا ندرى نزولاً لا تقيماً  
متخطياً سبعا من الطبقات  
بلغ النهى من أرفع الدرجات  
حيث الملائك خشع الهامات  
ما كان مقصورا على الرتبات  
معنى علو الذات والرفعات  
وإليك يصعد طيب الكلمات  
مولاي تعلمه بأى صفات  
بجلال قدسك يا عظيم الذات

## الصفات في كلام الله<sup>(٢)</sup>

وكما وصفت الذات منك نقول ذا  
أولست قد أثبت في القرآن ما  
حق ونجزم فيه بالإثبات  
يرضيك من وصف ومن حالات

(١) عقيدة السلف فيما يتعلق (بالعلو) أنه سبحانه قد أثبت لنفسه العلو فيجب الاعتقاد بأنه فوق كل شيء حقيقة وفعلاً .  
ويرى الخلف أن إثبات العلو لله فيه معنى التحيز والتحديد — وهو محال على الله ، ولذلك يقولون إن العلو هو علو المرتبة .  
وقد ورد في الحديث الشريف (إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى ؟ هل من داع فيستجاب له ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح ) وهنا قال السلف :  
إن استواء الله على العرش بغير كيف فتزوله غير مكيف . ويجب الاعتقاد بصحة هذا بغير تكيف ، بل نزولاً لا تقيماً بظلمة الله وجلاله ويقول الخلف إن المراد ينزل أمر الله .  
(٢) أثبت الله سبحانه لذاته في القرآن الكريم بعض صفات من التشابهات مثل قوله « يدها مسطوانتان » وقوله « وبيق وجهه ريبك ذو الجلال والاکرام . يد الله فوق أيديهم . إنه هو السميع البصير . ولتصنع على عيني » .

ونفيت عنك من الصفات جميع ما  
 قد قلت. ليس كمثلته شيء وقد  
 أثبت أنك واحد لكننا  
 والحى والقيوم قد أثبتته  
 أفضل لنا تنزيه ذاتك بعد ذا  
 كلا ولكننا نؤكد أمها  
 إذ أنت رب وهى فيك قديمة  
 والكون خلق والبقاء مصيره  
 فكما نقول السمع ليس كسمعنا  
 بل ما يليق بنى الجلال إلهنا  
 وكذا اليدان مع الحياة فإنها  
 حاشا نشبه أو نكيف أو نقو  
 ونعطل الأوصاف ثم نحدها  
 ونقول ثم عن الصريح كناية  
 يزرى رب مالك الميقات  
 قلت السميع ومبصر الحركات  
 حذرتنا من موضع الشبهات  
 لكن نفيت النوم والغفلات  
 عما يراد بهذه الكلمات  
 ليست كما يبدو من الخطرات  
 جلت عن التكيف بالتفكرات  
 وصفاته معلومة الهيئات  
 فالوجه ليس كسائر الجهات  
 نلتذ من رؤياه فى العرصات  
 ليست كأيدينا ولا كحياة  
 ل مقالة المرتاب ذى الغفلات  
 بتأول لظواهر الآيات  
 إن لم نكيفه بمرثيات

فرأى السلف الصالح فى هذا وجوب لإثبات ما نسبته الله لنفسه من هذه الصفات  
 من غير تكيف ولا تحديد — فقد قال تعالى «ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير»  
 فكل ما خطر ببالك فانه بخلاف ذلك ولأن العقول مهما بلغت من الإدراك والتفكير  
 فهى عاجزة كل العجز عن تحقيق صفة أصغر المخلوقات كالبعوض مثلا وما هو فى عالم  
 الأرواح والحقاء كالملائكة والجان — فكيف يمكن للبشر وقوة عاقلته محدودة أن  
 يتصور صفات خالقه — ويقول الخلف : إن هذه من صفات المخلوقات فلا ينبغي مجال  
 أن تنسب بحقيقتها إلى الخالق — فيؤولون هذه التشابهات مثل «يد الله فوق أيديهم»  
 بالقدرة والنعمة والعين بالعلم وهكذا فى جميع التشابهات .

ومن الجراءة أن نعين مقصدا  
 وتريد فهم الذات منك ولم تحط  
 إن كانت الأرواح بعد وفاتنا  
 وكذا الملائك لانصور ذاتهم  
 فالله أقدس أن نشبهه بنا  
 أو أن نؤول ذا لكى يبدو لنا  
 ترمى إليه بما نراه يواتى  
 بدقيق صنعك خالق الذرات  
 ليست تحاكي الجسم فى الحركات  
 والجن نجعلها بأى صفات  
 بمجيبته وملانك الرحمت  
 وضحا فبئس الفهم من ثمرات

### الرسول وكلام الله

وحبيبك المختار من بين الورى  
 المصطفى الهادى محمد من به  
 هو من عليه تنزل القراء أن من  
 وهو الرسول وليس ينطق عن هوى  
 هو صاحب الحوض الشهى مذاقه  
 وإذا تنا كرت النفوس فانه  
 الكل يعرف فضله ويحبه  
 من لم يقدم حبه عن نفسه  
 صليت أنت عليه ثم فرضتها  
 فخر الوجود وسيد السادات  
 دكت صروح الشرك والظلمات  
 رب الأنام فكان خير هداة  
 وهو البشير بخالد الجنات  
 وشفيعنا فى الحشر بالمليقات  
 هو من يقول أنا الذى الأزمت  
 يفديه بالأرواح والمهجات  
 فهو الشقى مؤبد اللعنات  
 فعليه منا أفضل الصلوات

### الصحابة وكلام الله

ونحب أصحاب الرسول فمنهم  
 إذ كان ثان اثنين فى الغار الذى  
 من قد أتى فى محكم الآيات  
 آوى الرسول بساعة الأزمت

ولبعضهم وردت إشارات وقد  
وعليهم أثنى وقال بأنهم  
فاذا اقتديتم في الحياة بواحد  
فقدنا علينا أن نحيمو جميع  
وكذلك نمسك عن تخالفهم ومن  
وعلى الإله جزاؤهم ما بالنا  
ونبت منهم تخالفاً وتخاذلاً  
فإن اعتقدنا الحق جانب فرقة  
لكن حب المسلمين جميعهم

أخذ النبي برأيهم مرات  
هم كالنجوم تضيء في الظلمات  
منهم فذاك هدى العلى الذات  
مأ دون ما تفریق وميزات  
هو صائب أو مخطيء الرميات  
نذكيه بعد تقادم الحقبات  
في المسلمين يجر للهلكات  
أوضدها ما زاد في الحسنات  
أجدى لنا من بغضهم بمئات

### الأولياء وكلام الله

ونحب أيضا أولياء الله من  
وكذلك حب الصالحين نعده  
سيان أحياء وأموات لهم  
لكننا لانرتجيمهم كشف ما  
كلا ولا ندعوهم لقضاء ما  
فالله خالقنا أحق بعوننا  
ندعوه في كل الأمور لأنه  
وهو المحيب لمن دعاه كوعده  
وسواه ليس بنافع في ذاته

لاخوف يغشاهم ولا حسرات  
قربى لنا من أعظم القربات  
حُبُّ لما أدوه من طاعات  
نشكوه من كرب ومن محنات  
ترجوه في الدنيا من الحاجات  
إن نابنا شيء من الأزمات  
هو وحده من يسمع الدعوات  
للناس وهو مفرج الكربات  
كلا ولا منجى من الهلكات

## المجتهدون وكلام الله

والله أثبت للأئمة قوة استنباط أحكام من الآيات  
 ودعا إلى استفتائهم في كل ما يخفى من الأعمال والطاعات  
 ولذلك نحترم الأئمة والمذاهب معجبين بوافر النفعات  
 إذ حرروا أحكام هذا الدين مع ذكر الفروع بصائب الكلمات  
 من بعض آيات الكتاب فإنه هو مصدر التشريع والخيرات  
 ومن الحديث ومن قياس محكم وكذا من الإجماع في حالات  
 ولقد كفونا الاجتهاد ببحثهم في مجمل الأحكام عن خبرات  
 ولذا تقلدناهم كفتبين من ما جاء في التنزيل من حكايات  
 لأنهم أصحاب أديان وما عصموا من الغلطات والهفوات  
 وكذلك من نسجوا على منوالهم وتعمقوا في البحث والنظرات  
 من تابعهم من بهم وضوح الهدى وبدا صحيح الرأي والقولات  
 والله يجزئهم جزاء وافرا ويثيبهم من فضله الجنات  
 ويزيدنا علماً ومعرفة به وبماله في الكون من آيات

## السنة وكلام الله

والله قد فرض اتباع المصطفى فيما إليه دعا من الطاعات  
 وقضى علينا حبه كحبة اللؤلؤ عليه صلى والملائك ثم قا  
 مولى وأن نفيده بالمهجات ل فأكثرنا التسليم والصلوات



فذا علينا أن نتابع سنة ال  
 إذ أنها كالشرح للقرءآن تب  
 وكذلك أعمال الرسول تعد من  
 إذ قد أمرنا أن نتابع فعله  
 وكذا نكف وننتهي عن كل ما  
 يهادى التي صحت بغير رواة  
 لدى ما اختفى وتوضح الغايات  
 ما قد أشير إليه في السورات  
 وكلامه في سائر الحالات  
 ينهى ويمنع منه من فعلات

### هدى القرءآن

ولقد تفرع عن كتاب الله مح  
 وبه أشير إلى الصنائع والفنو  
 حتى تبيننا حقيقة قوله  
 صارت بحول الله أقلاما وصا  
 ويمده من بعد سبعة أبحر  
 فمن الحال إذا علينا أن نحى  
 في كل يوم نهتدى لمجائب  
 قد أوجب القرءآن أن يتفكر ال  
 ويطيل فيها الدرس كي تتفتق الأ  
 وغدا علينا واجباً بحث الحيا  
 إذ أنه مهما اكتشفنا لم نحط  
 أو لم نصل لحقائق الأشياء به  
 تملف العلوم وسائر المهنت  
 ن وكل ما يأتي عن الفكرات  
 لو أن ما في الأرض من شجرات  
 ر البحر للأقلام شبه دواة  
 لم ينفد المسطور في الصفحات  
 ط بما حوى القرءآن من غايات  
 وغرائب من صنع على الذات  
 إنسان فيها في مدى الأوقات  
 ذهان بالتفكير للحكمت  
 ة وما بها من كل موجودات  
 علماً بما في الكون من آيات  
 د ولم نزل في أول الدرجات

إذ فوق كل ذوى علوم عالم والله أعلمهم بلا مريات  
وهو الذى لم يؤتنا من علمه غير القليل وموضع النظرات

## دروس العلم فى كلام الله

والله علم آدم الأسماء ثم هداه كيف يتوب عن زلات  
وكذاك جبريل بأمر إلهه قد كان علم أحمد الآيات  
ولصحه المختار كان معلماً بالقول والتطبيق والحكمات  
والله أوحى للخلائق كل ما تحتاجه لضمان خير حياة  
وكذاك سخر لابن آدم كل ما يهديه كيف يعيش فى غبطات  
وهدهم للسعى فى الدنيا لئيل الرزق أو لتتويع المتعات  
ولأجلهم خلق الكثير لكي ينهمهم لما هم فيه من حاجات  
وييسر الرزق الحلال لهم ويفهمهم بأنواع من اللذات  
كيا يخفف عنهم عبء الحياة وما يصادفهم من الأزمات  
وليستعوضوا جانباً من متعة كانت لهم فى ساحة الجنات  
فالماء وهو حياتهم آتام منه الكثير ليجزل المنات  
والحب والأثمار أنبتا لهم أكلًا ليقنطروا على الطاعات  
وكذلك الأنعام أوجدها لهم منها الغذاء وسترة العورات  
ومنافع شتى وفوق ظهورها يطوون أقصى الأرض بالسلعات  
وسقام من بين فرث والدما لبنا يشير إليه بالآيات  
وسقام من جوف نحل ضامر عسلا شها طيب النكهات

وبوسط بحر قد أعد الحوت ية      تتاون منه وهم على الموجات  
ومن الحجارة قد أعد معادنا      وجواهرًا للرزق والحليات  
حتى الغراب أتى فكان معلما      قابيل كيف يوارى السوءات

### الآيات الكونية في كلام الله

وكذاك أوجد مرشدين لهم إلى      سنن الوجود ومطلع الخيرات  
فالشمس والقمر المضيء كلاهما      خلقا هدى الناس للأوقات  
ولكى يكونا والنجوم وسيلة      هداية الضالين للطرفات  
والليل سُخَّرَ والنهار لفاية      هي في هناء العيش خير أداة  
هي أن تنظم للورى سبل الحيا      ة وراحة الإنسان بالساعات  
ومن اختلاف الوقت والأحوال ما      فيه الهدى لمصالح الثمرات

### هداية الرسل وكلام الله

وكذاك أرسل مرسلين هديهم      للصالحات وسلم الجنات  
فأتوهم بالكتب فيها دعوة      للدين والدينا والليقات  
وختمهم قد كان سيد يعرب      المصطفى من صفوة الصفوات  
والعقل صيره أداة تقبل الإ      رشاد هادى الجسم للخيرات  
وأناله من قوة التفكير ما      يهديه كيف يحقق الغايات  
وحباه منه العلم لاستخراج ما      فى الأرض من نعم ومن ثروات  
وهدها لاستخدام معظم ما هنا      لك من قوى فى الأرض والسماوات

و بلوغ أقصى حالة في الفن تس  
لعلمار هذا الكون وفق إرادة ال  
حتى لقد علموا الذي لم يعلمو  
وبها لقد بلغوا الكمال وأبدعوا  
صنعت كما أوحى فكانت آية  
هي ضمن خلق الله أصلا بل وما  
وفقا لما قد جاء في القرآن عن  
وهو الذي للعقل أخضع كل شيء  
فالحول منه وما لنا من قوة

تهوى النفوس وتكمل الزينات  
مولى الذي هو مصدر السلطات  
ه وأوجدوا عددا من الآلات  
بالفكر ما سموه (مخترعات)  
الله مرشدهم إلى الخيرات  
آت إليه بملهم الفكرات  
ه بخلق ما يخفى مع الأوقات  
في الوجود بواسع الحكمت  
إلا بما يؤتیه من قوت

### القوى الخفية وكلام الله

والله يسمع ما تقول كما يرى  
إذ منه قوة سمعنا والنطق وال  
وجميع ما في جسمنا من قوة  
بل إنه هو مصدر القوت حا  
وهو القريب من العباد لأنه  
فبكل شيء قوة منه تدل  
قدصور «الذي» كيف يكون في  
هذ القوى في الجو تسمعنا كما  
إنا استرقنا السمع من موجاتها

أعمالنا في كافة الأوقات  
إبصار بل والروح والحركات  
فمن الإله الواسع القدرات  
كم سائر الحركات والسكنات  
لم تخل منه صغيرة الذرات  
عليه من هو خالص النيات  
كل الوري من كان فرد الذات  
هي تبصر الحركات والسكنات  
وأذيع ما فيها من الهفتات

ثم اتخذناها أداة بيننا  
لم تخف عنه صغيرة من أمرنا  
بالكيف لم يعرف وليس بجوهر  
فالجاذبية والحرارة أثبتنا  
وكذا الأثير ونحن من أجزائه  
ويدلنا أن الجواهر تنتهي  
وطبائع الأشياء وسر خواصها  
لولا الإرادة منه في تخصيصها  
فهناك إبراهيم نجى من لظى  
ونزى الكثير يموت رغم علاجه  
والعلم يخطئ تارة فيدل عن  
حيث التجارب في الظواهر غير ما  
فهناك سر كامن في الغيب لا  
هو قول كمن فيكون ما يقضى به  
والحسن يخذعنا فنحسب ثابتا  
والروح تمكى الكهراوودليلها  
ووسائل التوليد قد عرفت لنا  
وجميعها أثر له سبحانه  
وحقيقة القوات سر غامض

لتخاطب وتناقض الصورات  
لا فرق بين الفعل والنيات  
لا يشبه المخلوقات في الهيات  
لله ما يخفى عن الحدقات  
قد جاء يثبت وحدة الذرات  
بقوى تمت إليه بالنسبات  
بما يدل عليه بالآيات  
لم تفقد التأثير في حالات  
نار وإسماعيل من هلكات  
ويطيب من قد عد من أموات  
نقص بما نلناه عن خبرات  
في علم من قد كون الفطرات  
ندرى به ويلوح في أوقات  
دون ارتباط منه بالعادات  
ما كان حقاً دائماً الحركات  
ضوء الحياة لراغب الإثبات  
أما حقايقها فنه تواتى  
رب القوى والأصل في النشآت  
وجلال ربي مصدر القوات

من كان يطمع في التماس بقوة فصيره للحرق في لحظات  
وكذلك اندكت جبال عندما حصل التجلي منه للصخرات

## المخترعون في كلام الله

والله قال لنا ( سليمان ) الذي  
واستخدم الأطيوار في نقل البر  
وبأمره وبقوة العلم استطأ  
أن يستخفّ بعرش بلقيس ويند  
وبهديه نقلوا الحديد على الريا  
لكنهم لم يستطيعوا أن يجا  
وله أسأل الله عين القطر فاك  
من قبله ( داود ) مخترع الد  
وكذلك ( نوح ) كان أول صانع  
كأن يأمن الطوفان أو ليسير فو  
وهناك في أخبار آل الفيل إذ  
ما نبه الأفكار لاستخدامنا  
وهل القذائف غير نوع من صوا  
وهل الذي سموه ( غازات ) سوى  
أولم تكن هذى الطيور بشكلها  
هي وحدها أوحى بصنع الطائرا

قد سخر الأرياح في الرغبات  
يدوكشف ما بالناس من حالات  
ع جليسه في تلكم الأوقات  
قله إليه بطرفة الجففات  
ح اليوم في شيء من الخيفات  
روه بسرعته ولا القوات  
كتشف المعادن دون ما كلفات  
دروع من الحديد تقي من الطعنات  
للك حيث الناس في غفلات  
ق الماء في أمن من الولايات  
فدقتهم الأطيوار بالحصوات  
للطائرات لرمي مقذوفات  
عق توجب التخريب والهلكات  
ذاك الوياء يسمم الذرات  
وبسيرها في الجو بالسرعات  
ت لكل من قد تابع الفكرات

وأليست الأسماك في جريانها  
 قد علمتنا كيف نصطنع السفا  
 (عمر) بمسجده تمكن أن يشا  
 وعليه أصدر أمره أن يقصد ال  
 ولقد وعى للصوت (سارية) ونة  
 وبهديه اخترعوا لنا (الذبياع) ل  
 وكذا (التلافزيون) والتصوير عن  
 بل إنما العينان قد دللا على الت  
 والأذن قد دلت على التكبير للأ

وسط البحور ومعظم اللجات  
 ثم نثم نقبها (بفواصلات)  
 هد جيشه في أبعد الساحات  
 جبل المنيع ليكسب النصرات  
 إذ أمره في تلكم اللحظات  
 كمن بعد آلاف من الآلات  
 بعد لما يجرى من الحالات  
 صوير في عكس وفي العدسات  
 صوات في شكل وفي الطبقات

### التفكير في آيات الله

ولقد نرى من بعد أن بوسعنا  
 إن ما بحثنا في الكتاب وفي بد  
 متبعين لهديه راجين تة  
 فالله سخر لابن آدم كل ما  
 ودعاهم أن يبشوا وينقبوا  
 ودعاهم أن يبشوا في ذاتهم  
 وتطور التكوين في الأرحام ثم  
 وحياتهم ونموهم في هذه الد  
 وتفاوت الأفكار والآمال بل

تحقيق ما هو خارق العادات  
 يع الخلق والآلاء والمثلثات  
 وير البصائر من على الذات  
 في الكون من جسم ومن قوات  
 لتفهم الأسرار والحكمات  
 من بدء خلقهم من النطفات  
 م خروجهم من داخل الظلمات  
 نيا وما هم فيه من حالات  
 والعمر والأرزاق والدرجات

فلكل فرد آلة قد أوجدت  
وجميعها متشابهات في النظا  
وجميعهم من صنعه وفعالهم  
وتعدد الأطوار يثبت قدرة  
فجميع ذا مما يعرفهم به  
إذ لا سبيل إلى الوصول لكل ذا  
وكذاك حضمهم على الأعمال كي  
وأنا لهم من فضله عزما ومة  
مستخدمين جميع ما في الكون في  
ومسخرين قوى الوجود وما حوت  
فيا ابتغوا في هذه الدنيا من الا  
حتى لقد ظنوا بها لنفوسهم  
بيننا تدل على الإله جميعها  
فمن المهم بأن تقر بأنه

### القوى الفعالة في كلام الله

وهو الذي وهب العباد جميع ما  
ومن الهوا والماء بل كل القوى  
وهو المصرف للشئون جميعها  
وهو الذي هو دائما معنا وأه  
م فيه من نور ومن ظلمات  
والعقل والحركات والسكنات  
في الكون وهو مسير الدفات  
زب ما يكون لمرتجى الرحات



بل إنه أدنى لمن يرجوه من (حبل الوريد) وأقرب القوات  
إذ منه نكتسب الحياة لجسمنا وبدونه لانملك الحركات  
بل إنه سرّ الحياة وموجد الأآاء وهو محرك السمكات  
وقواه كأمنة (بذرات الوجو ذوفى الأثير) وموضع النبضات  
وهو العليم بكل ما فى الكون من خلق ومن أعمال أو نيات  
فاذا سعينا إنما نسعى به وته وما أولاه من عضلات  
بل بالحياة وقد حبانا الروح منه ه فكلنا فى الكون كالآلات  
بل نحن من ضمن القوى وجميعنا جند يسير بمقتضى الحكات

### صلة العبد بالله

ومتى أردنا الإتصال به فليدس هناك من تعب ولا كلفات  
بل فى استطاعتنا اللجوء إليه جل جلاله فى كافة الأوقات  
فنبتنه آمالنا من ونؤكد الرغبات بالدعوات  
وزراقب الإلهام من نفس الطرية ق لما سيوصلنا إلى الغايات  
إذ أنه لابد أن يهدى القوا د إلى الصواب وأحسن الطرقات  
فمن اتقى مولاه يهد القلب منه ه إليه بل ولنتهى الخيرات  
فالقلب (بيت الرب) وهو محل أذ نظر الإله وموضع النجوات  
وهو (المحطة) لاتصال الروح بالمولى بها الأفكار (كالموجات)  
تعطى وتأخذ بل وتملى ما ترى ولها يدین الجسم بالطاعات  
وبقدر ما تصفو من الأغيار تش غل بالحبيب فتسمع الهمسات  
وجميع ما يأتى إليها داعيا للخير فهو من العلى الذات

أو داعياً للشرف فهو وساوس  
 والله يعطى المرء ما يرجوها  
 والمرء يسمى ملهما وموقفاً  
 وهناك أعظم قوة في الكون تد  
 وتقوده من حيث لا يدري إلى  
 والنفس منه طروبة والجسم يس  
 ويظل في الدنيا يعيش كزهرة  
 الله أنبتها وأرواها فلم  
 أو كاليعاسيب التي قد أخضع ال  
 من غير سلطان لها أو ميزة  
 فعدت تدين له تعالى وحده  
 والمرء في الدنيا بما أوتى من ال  
 أخرى بمعرفة الإله فلا يدي  
 وبأن يكون على اتصال دائم

جاءت من الشيطان للشهوات  
 منه إذ الأعمال بالنيات  
 في سعيه لا يعرف الخبيات  
 فعه إلى الإصلاح والحسنات  
 ما يتنقى من غير ما كلفات  
 هي وفق أمر الله في الطاعات  
 لا تعرف الآلام بالهلكات  
 تذكر سوى من من بالإنبات  
 مولى لها عدداً من التحلات  
 إلا إرادة رافع الدرجات  
 ولغيره لم تذكر المنات  
 تميز والتفكير والحكمات  
 من لغيره في كافة الحالات  
 بفؤاده بالله على الذات

### محبة العبد لله

ولمن أراد محبة المولى له  
 وليجتهد في أن يراقب ربه  
 وليعبد المولى بما أوحى به  
 وليتخذ وقتاً يفكر فيه في  
 وعليه دوماً أن يلتن نفسه

فليخلص الأعمال والنيات  
 في كل ما يأتيه من فعلات  
 سبحانه وليكثر الصلوات  
 آلائه وبديع مخوقات  
 حبَّ الإله ومالك الميقات

من منه قد نال الحياة وكل ما  
 وهو الذي في الحشر سوف يثيبه  
 وبمثل ذا يتعود المرء التقى  
 ومتى أحب العبد مولاه فسوف  
 وإذا أحب الله عبدا حبه  
 ويكون ربي سمعه ويمينه  
 وبه يكون مسدداً في رأيه  
 وسوف يبلغ ما يريد من الحية  
 ويعيش في الدنيا سعيداً ناجحاً  
 ذا قوة جذابة وإرادة  
 وسكينة من ربها تستلهم ال  
 وهناك تصفو النفس من أدرانها  
 وتم في الدنيا كرامات ويح  
 فالنفس إذ تصفو وتعرف ربها  
 وتسير في بحر المعارف والهدى  
 بل إنها تجد الملذة في غذا  
 والاتصال بملك الدنيا وما  
 وبذلك لا تخشى البلاء ولا تخا  
 بل قد تغالب حزنها لتنال بال  
 لا بل لفرط صفائها ويقينها  
 في كل ما هو خلقه أو فعله

هو فيه من نعم ومن خيرات  
 برضائه من فضله الجنات  
 وأحب والإخلاص بالنيات  
 ف يحبه ويزيده درجات  
 من في الوجود وفاز بالرغبات  
 ودليله في ساعة الخيرات  
 وموقفاً في السعى والفكرات  
 بما حباه الله من قوات  
 ومنعاً بالخير والحسنات  
 بالله تهزم أعظم العقبات  
 رضوان والعرفان والحكمات  
 وتظل تسبح في هدى الآيات  
 نظى المؤمنون بفائق العزات  
 تسمو عن الحسوس من لذات  
 دوماً فلا تصبو إلى الشهوات  
 الروح بالإحسان والصلوات  
 فيها ومن هو موجد النعمات  
 ف الناس فيما كان من طاعات  
 صبر الرضى من مالك الميقات  
 بالله تبصره مدى الأوقات  
 فتظل راضية على الحالات

وتظل تنعم في الحياة بغير ما  
وترى الحياة لها كسجن مظلم  
هذا الكمال حقيقة ومثله  
من قد أعدَّ لهم إله العرش في الأ  
وهم الذين دعاهم مولاهم

### تقوى الله

وحقيقة التقوى مراقبة المهي  
وكذا ابتغاء الأجر عند الله في الأ  
والإتجار بأمره فيما إليه  
والابتعاد عن المعاصي والإي  
والمتقون هم الذين للمهم  
والكاظمون الغيظ والعافون عن  
والذاكرون الله إثر ذنوبهم  
من غير إصرار على تفریطهم

### الإخلاص لله

وحقيقة الإيمان أن يتعبد الإنسان  
متصوراً مولا وهو عليه مط  
إذ أنه فعلاً يراه وإن يكن  
وكذلك أن يك زاهدا والزهد لي  
بتشرف أو لبس مرقوع الثيا

فالمصطفى قد قال ليس الزهد في بل إنما هو أن تكون بما لدى الـ مما يحوزك بل وحتى في يدي فيها أشد تشوقا من قبل من وبذاك لاتأسى على ما فات من ترك الحلال وضيعة الثروات رزاق أوثق دون ماريبات لك وأن تكون بساعة البلوات عظم الوثوق بأجر على الذات نعم ولا تفرح بما هو آت

### وسائل الرزق في كتاب الله

والله قال وما بكم من نعمة وكذا قال (لأهلك أمر بالصلاة) لا تقتلوا أولادكم من خشية إلا فلننحن نرزقكم جميعا دائما بل أقسم المولى بأن الرزق قد وكذا ما وعد الإله عباده لا بد من تنفيذه حتما كما فكلاهما حق فإن شك أمرؤ فله التشكك في تحتم رزقه وبأمره بالسعى قال لكي (تري من ثم أخبرنا بأن مجرد ما يسبب رحمة المولى وغف إذ يرسل الغيث، العميم من السماء ويمد من يدعو بالأموال والأ

فمن الإله مقسم الثروات (ة) فلست مسئولا عن الأقوات (إملاق) إن الرزق من مناتي ولنا عليكم واجب الطاعات ر في السماء من العلى الذات من بعثهم والعرض في الميقات هم ينطقون اليوم بالكلمات في نطقه وخلا من المعاهات أو بعشه والنار والجنات أعمالكم) فالرزق محض هبات تغفاره سرا مع التوبات ران الذنوب ووفرة الخيرات ء ويجعل الفلوات كالجنات أبناء حتى يكمل الزينات

وكذلك أخبرنا بأن مجرد ال  
مما تهيبُ مخرجا للمعنى  
وتيسر الرزق الحلال له بلا  
من حيث لا يدري ولم يعمل له  
وقالما وجدته مريم وهى فى  
حتى لقد كانت مثار تعجب  
وكذلك يصلح أمره وفعاله  
ويكون فى كنف الإله فلا يُمدَّ  
والنصر مكتوب له حتما بعو  
والله بشره بأن سيناله  
وبأنه المولى سيفغر ذنبه

### الدعاء فى كلام الله

والله أعطى للعباد عليه وع  
أن يستجيب دعاءهم أنى دعو  
من غير ما نظر إلى أديانهم  
إذ قال ربي (إنه هو من يجي  
ودعا العباد إلى استجابتهم له  
وليؤمنوا بوجوده وبقربه  
بل إنه سمي الذى لم يدعه  
ولسوف يدخله جهنم داخرا

دا ليس يخلفه مدى الأوقات  
ه ويمنح الطلبات والرحمات  
أو كفرهم بالله والآيات  
ب دعاء من يدعو) من النسمات  
بدعائه بالذل والخفيات  
وبأنه لا يرفض الطلبات  
مستكبرا عن واجب الطاعات  
يهوى بها فى أسفل الدرجات

إذ أنه لم يقبل الإحسان من  
وكذلك يصبح مشركا من كان يد  
والله لما أن دعا إبليس بال  
مع علمه بالقصد من ذلك الدعا  
وصدوره في حالة العصيان بل  
وكذلك لما أن أناب إليه آ  
وأنا له ما قد دعاه به من ال  
وجراءة الشيطان في دعواته  
وكذلك كل الأنبياء والرسل لما  
وأجاب ما طلبوا لأنفسهم وأه  
ونبينا لما دعا المولى لأ  
بل صانهم مما أصاب سواهم  
ولمن دعا في ساعة الأخطار قد  
وكذلك ينبجى المؤمنين الله إن

### الثقة بالله

وكذلك كل الناس من منهم يؤ  
ويرد من الله النجاح فإنه  
لكن على أن يعزموا بدعائهم  
بل يوقنوا بإجابة المولى الدعا  
ولأنه هو من جابهم كل شئ

جّه قلبه لله في الحاجات  
سيناله حتما بلا مريات  
ويؤكدوه بشدة وثبات  
لأنه لا يخلف الطلبات  
منه حتى العقل والفكرات

وهدى إليه من ارتضى وأنا رباً  
لا أن يقولوا إن تشأ ربى اثنا  
فإنه لم يكره على هذى الإجا  
وعد الأنام بها فليس لنا إحا  
بل لا يحمل لنا التردد فى استجا  
إذ أن معناه التشكك فى مدى  
أو وعده للناس وهو مؤكد  
وسقوط أبراج السماء على البسيه  
أذى وأقرب من تردد ربنا  
فالوعد دين لا يجوز المظل فى  
بل إنه لا بد فيه من السدا  
والله أكرم من ينى بالوعد أو  
لكن إذا صحت وكانت من صه  
ولذلك كانت دعوة المظلوم آ  
وإذا دعا المولى امرؤ متوكلا  
فإنه بالغ أمره لكنه  
والله إذ وعد الورى بإجابة ال  
كلا ولم يك هازلاً ومجاملا  
وكذلك ليس يحول دون وفائه  
حاشا وليس لديه صعب أو عظيم

لإيمان قلب المرء والنظرات  
ذاك الذى نرجو من الرغبات  
به إنما هو مانع النعمات  
له أمرها لله فى الدعوات  
بته لنا بالقول والنيات  
إحسانه أو مبلغ القوات  
قد نص عنه بمحكم الآيات  
طة واصطدام الشمس بالنجمات  
فى بره بالوعد للنمات  
ه وليس ينكره ذوو القدرات  
د لمن سيطلبه بكل ثبات  
يقضى الديون ويقبل التوبات  
يم القلب أو صدرت عن الحركات  
كد بل وأرجى عند عالى الذات  
يكفيه ما يرجو بلا مريات  
قد قدر الأشياء بالأوقات  
دعوات لم يقصد به الخدعات  
فى وعده للناس فى السورات  
شئ تعالى مالك الميقات  
م لا ينال بأقرب اللحظات



فيقول كن سيكون ما يدعوه الأ  
 لكنه تأتي الإجابة وفق أذ  
 ولينما تهباً الأسباب أو  
 فالله إذ خلق السموات العلى  
 بل كان ذلك بنحو أسبوع وكا  
 والله ربي ما تردد قط في  
 فالعبد يكره أن يموت وربّه  
 وبه لقد سبق القضا ليكون من

إنسان مهما كان في العظمت  
 ظمة الحياة ومقتضى الحالات  
 تتلاءم الأوقات للطلبات  
 والأرض لم يلجأ إلى السرعات  
 ن بوسعه إبداله فترات  
 أمر ترده بأمر وفاة  
 يأبى إساءته بفقد حياة  
 ه وسيلة للبعث والجنات

### تجنب الشك

ولئن يكن سبب تخيبة أي شخص  
 أو كان ثمت من دعاء لم يجب  
 أو شابه شك يعطل فعله  
 والله ليس يجب دعوة غافل  
 أو قائل : إني دعوت فلم أجب  
 بل إنه المولى ينيل السائل  
 في هذه الدنيا ولو إصلاحه  
 وكذلك ما يرجون في الأخرى من ال  
 ويسر بالطلب العظيم لأنه  
 وكذلك يفضب في الأنام على الذي

ص في الحياة فذا فقد ثقات  
 فلأنه ما كان من مهجات  
 ويحول دون تحقق الرغبات  
 لاه ولا متردد النيات  
 أو من دعا بالإثم والفرقات  
 ن الله ما يرجون من حاجات  
 شمع النعال وأعظم الغايات  
 خفران والإحسان والجنات  
 لاشيء أعظم منه ذو العظمت  
 لم يدعه في ساعة الأزمات

والله إذ منح العباد إجابة الد  
قد قال للشيطان إن عباده  
فبسر دعوتهم سيحبط سعيه  
وكذلك سوف يعمهم بمراحم  
عوات وهو الواسع الرحمات  
لايستطيع عليهم السلطات  
ويرده نَدَمًا من الخبيات  
لم تبد للإنسان في الخطرات

### تكرار الدعاء

والله حض على الدعاء وسنه  
كى ما يكون سجية ويفيدنا  
وأبى وحذر أن نكون بغفلة  
بل إنه منع الصلاة بحال سكا  
وإذا دعاه جاحد فى شدة  
أوشاء أهله جزاء الكفر فى  
ومن اكتفى فى العيش بالمقدور دو  
بدعائه والسعى سوف يظل -  
بل ربما يهوى إلى مادونها  
بل ربما هو يخسر الأخرى إذا  
إذ أنه رفض استجابة مانح ال  
وكذلك قد رضى البقاء بحاله  
لايطلب المولى بإيمان ولا  
بل ليس يحزم بالرضى من ربه  
فى كافة الأوقات والصلوات  
تكراره للحزم بالرغبات  
عما تقول بتلكم اللحظات  
رفيه ينفى العلم بالقولات  
إن شاء بددها من الرحمات  
ما قد مضى من سابق الأوقات  
ن تطلب التعديل فى الدرجات  
تى الموت وهو بتلكم الحالات  
متدهورا فى الرزق والنعمة  
ترك الدعاء والسعى للجنات  
أرزاق من لا يرفض للدعوات  
وبأن يعيش كعيشة السلمات  
يرجو إجابته بكل ثقات  
إذ أنه لم يخلص النيات

أو لم يتب حقاً ولم يعمل ليو  
بيننا ينادى الله في الأسحار(هل  
أو (تائب مستغفر) فأحوطه  
وأنا الإله (وكل شيء رحمتي  
وجزاء من ذاشأنه سيكون نس  
يوم الحساب لأنه نسي الدعا  
بل إنه نسي المعاد وأنكر الأ  
وتعمد العصيان في ترك الدعا  
لاغرو أن يُنسى ولايلقى سوى  
وهناك يحصد زرعه ويرى جزا  
ونتيجة الإهمال في الدنيا وكي  
بل ما استحق من العذاب لرفضه  
بالله خالقه ومطعمه وسا

م البعث أو يتربح الرحمت  
من سائل) فأنيله الغايات  
بالغو والغفران والتوبات  
وسعته) في الدنيا وفي الميقات  
يانا لدى التوزيع للنعمت  
بما يريد بتلكم الأوقات  
أخرى وأغفل جانب الحسنات  
وفي تقاعسه عن الطاعات  
نار الجحيم ومنتهى القسوات  
الكفر بالمولى العلي الذات  
ف تكون عقبي اللهو والغفلات  
حسن التعرف بل وحسن صلات  
قيه وكاسيه من الحليات

### ترقب الإجابة

والله صير أفضل الأعمال في ال  
حيث الدعاء يعد كالفتاح في  
في وجه من رام التقدم والوصو  
أو كالطليعة يرتجي في إثرها  
أو كالوسيلة لانتقاء الضر في ال

دنيا انتظار اليسر في الشدات  
باب الرجاء ييسر الغايات  
ل بسعيه للقصد والذروات  
ما ينتغيه المرء من رغبات  
دنيا وكشف الصعب والعقبات

والفوز في الأخرى بأنهم مالك  
 إذ أنه هو في يمين المؤمنين  
 وهو العباد لدينهم (مخ العباد)  
 فالله لم يعبأ بنا لولا الدعاء  
 وهو الذي لا بد ينفعنا إذا  
 فيفكها ويرده بمشيئة  
 (ولرب أشعث أغبر أن قال قو  
 والله يرزق من يشاء بلا حسا  
 ولقد تكفل ذو الجلال برزقهم  
 وكذلك يرزق من دعاه كما يريد  
 إذ أنه المولى العليم بما سيص  
 حاشا يجاريهم على رغباتهم  
 وله تعالى أن يعجل ما يرى  
 ويؤخر الباقي ليوم قيامة  
 ولذلك قد وعد الإله الصابرين  
 إذ أنهم قد سلموا لله ثم  
 والله من على العباد بأنه  
 وبأنه يعطي الثواب لمن يريد  
 ولو أن أهل كتابه قد آمنوا

لا يرتضى لعبيده الهلكات  
 ن سلاحهم في أخرج الساعات  
 دة) وهو نور الله في الظلمات  
 لأنه هو يمنع النكبات  
 نزل القضا متماسك الحلقات  
 سبقت من المولى العلي الذات  
 لا بره) المعطى بلا منات  
 ب باعتبارهم من النسمات  
 وبرزق ما في الكون من حشرات  
 د بأفضل الأسباب والأوقات  
 ملح أمرهم وبأحسن الحالات  
 إن لم تكن مضمونة الثمرات  
 تعجيله من أزم الحاجات  
 أو بالدعاء يكفر الزلات  
 ن على القضاء بأرفع الدرجات  
 رضوا بما يرضى من الفعلات  
 آتاهم من كافة الطلبات  
 د بهذه الدنيا وبالميقات  
 ثم اتقوا ومشوا على الخطات

فإذاً لنا لوالرزقهم (من فوقهم) أو تحت أرجلهم) وكل جهات  
فلترتقب نحن الإجابة للدعا ، بدون ماشك ولا ريبات

### بذل الجهود

ومن المهم بأن نسير مع الدعا ، على الطريق وتقصّد الغايات  
ونجدد في المسعى لنبلغ ما نريد ، من الحياة بأقرب الساعات  
أما الدعاء بدون سعى إنه ، شأن الضعيف الفاقد للمهات  
يأتي إلى الأبواب يفتحها ولا ، يرضى الصعود لأرفع الدرجات  
ويظل يرقب من سيرها ولا ، يبدى سوى الآلام والحسرات  
فيبوء بالحرمان مما يبتغى ، ويفوز بالآمال ذو العزمات  
من يفتح الآمال بالدعوات ، م يسير بالأعمال للذروات  
وإذا عمرته في الطريق مصعب ، بالصبر ذلها وبالْحِكْمَات  
وبما لديه من اليقين بربه ، وبما يؤمله من النصرات  
بل ما سيمنحه الإله له من التو ، فيق والتأييد والقوات  
فالله إذ شرع الدعاء دعا إلى الـ ، أعمال والإقدام والعدات  
وأبى الخمول وأن نراقب رزقنا ، يأتي بمحض الجود والمنات  
بل إنه جعل الثواب مرتبا ، دوما على الأعمال والنيات

### حضور القلب

أما الدعاء بغير قصد أو بلا اسـ ، تحضار رب العرش في الدعوات  
(كوظيفة) تغلى بشكل الببغا ، فذاك قد لا ينتج الثمرات

أولا يكون وسيلة لتحقيق المأ  
 إذ أنه كاللغو إن قلنا بأن  
 عن مخاطبه وندعوه بألا  
 وكذلك حال الذكر والتسبيح واس  
 لكننا التكرار في هذا يذكر  
 ومتى ذكرنا الله حقا مرة  
 فالله يذكرنا كذكرنا له  
 والذكر يوقظ كل قلب غافل  
 وينيل رضوان الإله فلا يضل  
 ولذلك كانت كلمة التوحيد بالإ  
 مول في وقت من الأوقات  
 لا إثم في الإعراض والغفلات  
 سنة ونخبره عن الطلبات  
 تغفارنا والحمد بالميات  
 ر غالبا بالله على الذات  
 بتبتل مع خالص النيات  
 ولنا يحقق كافة الرغبات  
 وينبه الإنسان للخيرات  
 وتتقيه فيجنب الحرمات  
 خلاص تدخل على الجنات

### وجوه التفسير

هذا وإن للتفسير وجوها أربعة :

- (١) تفسير لا يعذر أحد بجهالته .
- (٢) تفسير يعرفه العرب بكلامهم .
- (٣) تفسير يعلمه العلماء .
- (٤) تفسير لا يعلمه إلا الله .

فأما الأول فهو ما يلزم العامة من الشرائع والأحكام التي في القرآن  
 مع دلائل التوحيد . وأما الثاني فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم .

وأما الثالث فهو تأويل التشابه وفروع الأحكام المستنبطة من الكليات .  
وأما الرابع فهو مايجرى مجرى الغيوب وقيام الساعة ، فمن واجب المفسر أنه  
لا يخرج عن دائرة هذه الحدود ، والله المسئول عن تأييد حجته وإعلاء مناره  
« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

وقد استخرتُ الله وتوسلتُ إليه بأسمائه الحسنى أن يقدرني على القيام  
بأعباء هذه المهمة ، وأن يلهمني الصواب في وضع تفسير منطبق على سنة  
وطريقة السلف الصالح رضى الله عنهم من ترك التأويل والتفويض إلى الله  
سبحانه وتعالى فيما أراد من كلامه وآى ذكره، وبالقدر الذى يؤدى الغرض  
المشود، وهو بيان (معانى الكلمات اللغوية) وتبسيط آيات القرآن الكريم،  
وشرحها شرحا وافياً يوضح مايراد منها ، ثم بيان (المغزى) الذى تدل عليه،  
ثم (الحكم) الذى استنبطه الأئمة والمجتهدون من آيات الأحكام أو الذى  
يستنتج من مدلول باقى الآيات مع الإشارة إلى ما هنالك من قراءات ،  
وما تتطلب الحاجة إلى ذكره من أسباب النزول بعبارة سهلة ، وأسلوب  
حكيم ، ولغة تلائم ذوق أبناء هذا العصر المتحضر . وإنى أحمد الله حق حمده  
فقد شملنى بفيضه الربانى واستجاب دعائى نجاء التفسير بحمد الله كما جراه  
القارئ الكريم ، وقد رأيت أن تكتب نفس الآيات بالرسم العثمانى نزولاً  
على إجماع المسلمين ، وتوقيف المتقدمين ، واستقراء علماء المسلمين من  
رجال الدين على أنى آتى بها ممزوجة فى الشرح بالرسم المتبع المتعارف  
الآن ، والمطابق للقواعد الحديثة المفهومة فى هذا الزمان .

وذلك ليعم بها النفع وتحصل الغاية المقصودة من نشر الدعوة الدينية بأوسع معانيها واتجاهاتها ونواحيها . وصدرت هذا الجزء بهذه المقدمة وضمنتها بعض مقتطفات من منظوماتي السابقة التي تشير إلى مدى تأثير الاهتداء بكتاب الله مما هو مستلهم من بعض آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لبيان ما في القرآن الكريم من المزايا ، ورغبة في اجتذاب النفوس إلى بارئها والقلوب إلى خالقها وهاديها ، في وقت عبد الناس فيه المظاهر وشغلوا عن الحقائق بالظواهر وغرتهم الحياة الدنيا بزخرفها ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وما توفيقى إلا بالله . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

كما رأيت أن أطبع كل جزء من أجزاء القرآن على حدة ليسهل طبعه ويتيسر لكل أحد اقتناؤه ؛ وزيادة في خدمة الدين والمسلمين ، ورغبة في الانتفاع به ، جعلت حجم التفسير في القطع الصغير ليحمل في الجيب ويصاحب الظاعن والمقيم ، فهو رفيق العالم والمتعلم والتاجر والزارع والصانع أينما كان أو يكون ، في السفر والحضر ، بل في كل مكان شاء الإنسان وأراد وهو السمير النابه ، والمحدث البليغ والمرشد والواعظ الموقر . والله أسأل أن يمدني بروح من عنده - وهو الملهم للصواب ، وهو المستعان على إتمامه على الوجه الأكمل - وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، ويشينى على ذلك بفيض فضله العميم إنه سميع مجيب وهو ولي التوفيق وهو الوهاب الرحيم

الخطيب



## سورة الفاتحة

هذه السورة مكية ، آياتها سبع ، وهي أول سورة نزلت كاملة من القرآن ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجعلها أول القرآن الكريم وانعقد الإجماع على ذلك . أما أول آية نزلت من القرآن فهي من سورة (العلق) وإنما سميت هذه السورة الفاتحة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يفتح بها القرآن ، ولأنها مشتملة على مجمل ما في القرآن . وهو بمثابة تفصيل للأصول الكلية والمقاصد العمومية والقضايا الدينية الشرعية الحكيمة . ولما تضمنه من العظات والعبر من القصص والأحداث التي وقعت في الأمم الخالية الماضية في غابر الزمان .

ومن شرف هذه السورة أن الله سبحانه وتعالى قدمها على جميع آي الذكر الحكيم وجعلها فاتحة كتابه الكريم ؛ وكل شيء قدمه رب العالمين فهو مقدم ومفضل على غيره .

وسميت فاتحة الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني ، وسورة الشكر والحمد ، وقسمة الصلاة ، والدعاء ، ولهذا يفتح القرآن بها ، فهي الأصل وأم الشيء أصله - وكونها مثاني لأنها تثنى وتعاد في كل صلاة لفرضيتها .

وهي سورة الحمد لأنه ذكر فيها الحمد ، وهي قسمة الصلاة لقوله تعالى في الحديث القدسي « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى

حمدنى عبدى ، فإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى أثنى علىّ عبدى ،  
 فإذا قال مالك يوم الدين ، قال مجدى عبدى وقال مرة فوض إلىّ عبدى ،  
 فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى  
 ما سأل ، فإذا قال إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم  
 غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل ،  
 وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده ما أنزلت  
 فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور مثلها ، وإنما السبع المثانى  
 والقرآن العظيم ، فقد أكرمنى ربى وأنعم علىّ بها وعلىّ أمتى » .

وقد اختلف العلماء فى المراد بالمكية والمدنية من السور ، فقيل  
 المكية ما نزلت بمكة ولو بعد الهجرة ، والصحيح الذى عليه الجمهور أن  
 المكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدنى ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة نفسها  
 أو فى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع أو فى غزوة من الغزوات .

فالسور المكية هى التى نزلت فى أول الإسلام لأجل الدعوة إليه  
 وبيان أساس الدين وكلياته من التوحيد والدعوة إلى ترك الشرور  
 والمعاصى والمنكرات والحث على فعل الخير .

والسور المدنية هى التى نزلت بعد الهجرة لبيان الأحكام التفصيلية  
 فى الدين .

والسورة طائفة من القرمان مؤلفة من ثلاث آيات فأكثر ، لها اسم  
 خاص بحسب التوقيف والرواية الثابتة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

اللفظ :

(الاسم) اللفظ الذي يوضع لتعيين الشيء وتمييزه عن غيره (الله) علم على ذات واجب الوجود (الرحمن) مفيض النعم (الرحيم) الثابت له صفة الرحمة .

المعنى :

ابتدأ الله سبحانه وتعالى بالبسملة إشارة إلى أن جميع ما يقرر فيما بعد هو من عند الله و (بسم الله الرحمن الرحيم) وليس لأحد غير الله شيء فيه ، وبمثل هذا يقول القاضى عند ما يصدر حكمه باسم الملك حكمت بكذا وكذا وباسمه أنفذ هذه الأوامر .

المفردى :

يعلمنا الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن نبدأ كل أعمالنا بتلاوتها لأن فى البدء ( باسم الله ) اعترافا بولايته سبحانه وتعالى الثابتة بقوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا ، وفى كلمة ( الرحمن ) ما يوجب محبته لقوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » ، وفى كلمة ( الرحيم ) ما يدعو إلى الطمع فى رحمته لقوله تعالى « وكان بالمؤمنين رحيما » .

الحكم :

أخذ العلماء من بدء الفاتحة وجميع سور القرآن بالبسملة سنية البدء بها في كل قول أو عمل ، وأيد ذلك حديث « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع » . وقد أجمع المسلمون على أنها جزء آية من سورة النمل ، واختلفوا في كونها آية من كل سورة .

فقال الشافعي : هي آية من أول الفاتحة لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا قرأتم الحمد لله ، أى سورة الحمد لله « فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها ، وذهب الشافعي في الجديد وأحمد في أحد أقواله أنها آية من كل سورة لإجماع الصحابة على إثباتها في المصحف في أول كل سورة سوى سورة براءة ( التوبة ) مع الأمر بتجريد القرآن عن كل ما ليس منه . وذهب مالك وغيره إلى أنها آية مفردة أنزلت لبيان رموس السور والفصل بينها وعليه جرى الحنفية ، وقد ترتب على هذا الخلاف أن الشافعي يرى وجوب تلاوتها مع الفاتحة جهرا في الصلاة ، وهي شرط في صحة الصلاة عند مالك ، ومستحبة عند أبي حنيفة ، والأفضل عنده أن يسر بها .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)  
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) أَهْدِنَا  
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

## اللفظ :

(الحمد) الثناء (رب) السيد ، والمرنى بمعنى المنشئ للشيء حالاً بعد  
 حال إلى حد الكمال (العالمين) ما سوى الله من جميع المخلوقات .  
 (مالك) صاحب الملك، وقرىء (ملك) صاحب الملك والسلطان .  
 (يوم الدين) يوم الحساب : أى يوم القيامة (نعبد) ندعو ونعظم  
 (نستعين) نطلب المعونة والمساعدة (إهدنا) أرشدنا (الصراط)  
 الطريق (المستقيم) الذى لا اعوجاج فيه (المغضوب عليهم) المبعوضين  
 (الضالين) التائهين عن معرفة الطريق السوى .

## المعنى :

(الحمد) حقيقة وكيته يجب ألا يكون ولا ينصرف إلا لله وحده  
 لأنه هو سبحانه وتعالى مصدر كل نعمة تستوجب الحمد، وباعتباره  
 سبحانه وتعالى (رب العالمين) صاحب الأمر فى التحليل والتحرير  
 وهو الخالق المسكون لهم والذى يسوس أمورهم ويربهم ، فكل إعجاب

أو حمد يوجه إلى أى مخلوق من المخلوقات فهو موجه ومنصرف إلى الخالق العظيم والمبدع الكريم ومن بيده تصريف الأمور .

إذ الإعجاب بالمصنوع إعجاب بالصانع ، وحمد الأثر حمد للمؤثر ، وامتداح النظام تقدير لمنظمه ، وإنه هو ( الرحمن ) الذى خلقهم لمحض الرحمة دون أن تكون هناك حاجة به إليهم ، فالله غنى عن العالمين .

( الرحيم ) الذى يشملهم برحمته فهو الذى لا تفك عنه صفة الرحمة أبداً . وهو ( مالك ) الملك المتصرف المطلق والحاكم الفرد العادل فى ( يوم الدين ) ذلك اليوم الذى حدثنا بأخباره الأنبياء والرسل ونص عنه فى الكتب المنزلة عن طريق الوحي . ( إياك نعبد ) نفردك وحدك بالحب الخالص والتعظيم والإجلال ونخصك بالدعاء الذى هو روح العبادة وتاجها ، لا اعتقادنا الراسخ باليقين أنك السميع القريب المجيب وليس غيرك من يستحق العبادة أو يقدر على سماع الدعاء وتحقيق الرغائب والمطالب فأنت أنت الفعال لما تريد المؤثر فى كل شئ والمقصود قبل كل أحد ، وأنت المعطى المانع وأنت الوهاب ( وإياك نستعين ) نفردك وحدك بالاستعانة إذ لا حول لنا ولا قوة إلا بما أودعته إيانا من القوة الخفية الكامنة فينا ولولاك ما استطعنا تحمل المتاعب والمشقات ومكافحة الخطوب والأحداث . ( إهدنا الصراط المستقيم ) نور قلوبنا بهدایتك الربانية لنعرف السبل الموصلة إليك ، فأنت وحدك الذى تنعم بالهداية وتوفق من شئت إذعانا وإجابة لاتباع أو امرك الإلهية . ( صراط الذين أنعمت ) بمعرفتك وبالإيمان بما

أرسلت به رسلك الكرام ( عليهم ) من الملائكة والإنس والجان .  
 ( غير المغضوب عليهم ) من شياطين الجن وبنى الإنسان ممن قدرت  
 عليهم غضبك فضلوا وأضلوا وحادوا عن الطريق القويم بعد أن تبين  
 لهم طريق الحق وكلمة الصدق وسبل الرشاد ، وقد بلغتهم الرسالة  
 فلم يتقبلوها ومالوا عنها كل الميل وهجروها وعكفوا على غواية الشياطين  
 وشروروا النفس وسيئات الأعمال ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى  
 أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، ( ولا الضالين ) الذين لم يعرفوا  
 الحق كلية . أولم يعرفوه على وجهه الصحيح فاسترسلوا في الضلال فذهب  
 سعيهم مع الريح .

### المفردى :

تضمنت هذه السورة الكريمة خمس مسائل ، هي حقيقة الإيمان  
 وصفوة ما يرشد إليه القرءان تتلخص فيما يأتي :—

(١) الاعتراف بنعم الله التي أسبغها على مخلوقاته وأسداها لعباده ،  
 وشكراتها بالقلب واللسان ..

(٢) الإيمان بالله وبرسوله وملائكته واليوم الآخر .

(٣) الاعتراف بالكتب السماوية المقدسة .

(٤) الاعتراف والإقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد

الصفات ، كما اشتملت على ما حواه القرءان من توحيد وعبادة

ووعد ووعيد وأخبار وقصص وأحداث .

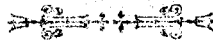
## الحكم :

يستنتج من هذه السورة الكريمة ما يأتي :

(١) وجوب الحمد لله والثناء عليه لما أسبغه من فيض نعمائه على عباده ومخلوقاته .

(٢) وجوب الاعتراف لله بالعجز المطلق والاتجاه اليه بالابتهاال والدعاء .

(٣) ندب تقديم الحمد والثناء على الله في حالة الالتجاء إليه بالدعاء . ولا دليل فيها على وجوب تلاوتها في الصلاة وإنما كان ذلك لحديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ، وقد حمل الشافعي الحديث على الوجوب والصحة ، وحمل أبو حنيفة الأمر على الندب والكمال .





## سورة البقرة

مدنية آياتها مائتان وست وثمانون ٢٨٦، وهي أطول سورة أنزلت من القرآن الكريم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم - (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)  
 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)  
 وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ  
 هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ (٥) .

اللفظ :

(الم) الكثير من المفسرين على أنها وأمثالها أسماء للسور المبتدأة بها ، والمعنى الحقيقي لها لا يعلمه إلا الله . قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : إن لله فى كل كتاب سرا وسر القرآن فى أوائل السور ، وينقل عن على رضى الله عنه أنه كان يقول (يا كهيعص) ، (يا حم عسق) أى أنه اعتبرها من أسماء الله . ويغلب على الظن أنها أسماء مقسوم بها مع حذف أداة القسم كقوله تعالى : يس والقرآن ، ن والقلم ، ق والقرآن ؛ فهذه أسماء أردفت بمقسوم به مما يشعر بأنها مقسوم بها أيضا .

( الكتاب ) مجموعة النقوش والحروف المركبة ذات المعاني ( ريب ) شك ( هدى ) دلالة بلطف ( المتقين ) مأخوذ من الوقاية ، وهي حفظ الشيء مما يؤثر فيه أو يؤذيه .

( يؤمنون ) مأخوذ من الأمن : وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف ( الغيب ) ما غاب أو استتر واختفى عن الحاسة أو عن علم الإنسان ( يقيمون ) يلازمون الفعل ( الصلاة ) الدعاء وأكمل أشكاله أن يكون بالحالة التي علمها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي الصلاة الشرعية ذات الأقوال والأفعال المفتحة بالتكبير والمحتممة بالتسليم ، ثم قال « صلوا كما رأيتموني أصلي » ( مما ) من بعض ما ( رزقنا ) الرزق كل ما ينتفع به ( ينفقون ) يصرفون ( أنزل ) النزول : هو الانحدار والانحطاط من العلو إلى السفلى ( يوقنون ) اليقين هو الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه وهو فوق درجة المعرفة والدراية ( المفلحون ) الفائزون بما طلبوا الناجحون فيما أرادوا وقصدوا .

المعنى :

أكد المولى سبحانه بالسر الذي يعلمه في ( الم ) أن ( ذلك الكتاب ) الذي نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم ( لا ريب فيه ) فلا ينبغي أن تتردد في أنه من عند الله لأن فيه من الأدلة والبراهين ما يبنى كل شك . وأنه ( هدى ) يكفل سعادة الدارين ( للمتقين ) الذين سبق في علم الله هدايتهم بما خلق فيهم من الاستعداد لتقبل الهداية ، وهم من تتوفر فيهم صفتان : الأولى الإيمان بالغيب وما يترتب على هذا من العمل لإرضاء الله بالنفس والنفيس . والثانية

التصديق بما أنزل على الرسول من عند الله من الأوامر والنواهي والأخبار، وقد عرفتهم سبحانه وتعالى بقوله (الذين يؤمنون بالغيب) فيطمئنون إلى أن وراء هذه المحسوسات أشياء أخرى غير منظورة يقرها العقل ويسلم بها. لأنها من الحقائق اليقينية الثابتة .

فهؤلاء يسهل تصديقهم بما أخبر به الرسل . أما من لا يعرف من الوجود غير هذه المحسوسات فمن الصعب العسير تصديقهم بما جاء في القرآن من وعد ووعد وأخبار عن الله واليوم الآخر ، وتسليم الناس بعالم الغيب مما يدلهم على وجود إله قاهر قادر متصرف في المخلوقات والكائنات ولو لم يدركوا كنهه ، الأمر الذي يجعلهم يعملون على التقرب منه .

(ويقيمون الصلاة) خالصة لوجه الله فيتملك الخوف والفرع من قلوبهم فيطمعون في رحمة الله وترق قلوبهم فيشفقون على البائسين وتأخذهم الرأفة على الفقراء والمساكين (ومما رزقناهم ينفقون) لأنهم علموا وشعروا بأن الأموال التي تحت أيديهم ما هي إلا من عند الله وهي وديعة وعارية عندهم، والله سبحانه وتعالى قادر على ردها واسترجاعها وسلبها منهم . فلا غرو إذا ما قابلوا إحسانه بالحمد والشكران ، ونعمة رزقه بالانفاق في سبيله ، وكل هذا بدافع الإدراك العقلي والباعث النفساني .

ومن كان هذا شأنه وحاله ، فهو على استعداد لقبول الهداية الإلهية لأن الله سبحانه قد خلق فيه المؤهلات والأسباب المؤدية للإيمان الصادق واليقين الصحيح على حد قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح

صدره للإسلام، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى الصفة الثانية للمتقين بقوله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) على الأنبياء السابقين من الكتب التي أخبرتهم عنها (وأولئك على هدى من ربهم) في الحياة الدنيا لأنهم خلقوا مؤهلين لقبول الدعوة بما أودع الله فيهم من قلوب واعية رقيقة لدنة لينة، وقد اهتدوا بالفعل بهدى القرآن وآمنوا بالكتب المنزلة جميعها على أنها من عند الله وأيقنوا وتحققوا باليوم الآخر كما حدثتهم عنه (وأولئك هم المفلحون) لأنهم آمنوا بالله الإيمان الكامل وآمنوا بالقرآن وما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة على الرسل، أما من لم يكن القرآن له هاديا ولم يؤمن الرسول وما أنزل عليه فلا ثمرة ولا نتيجة لجهوده، ولو أنه آمن بالغيب وصلى وتصدق، إذ العبرة باجتماع الشرطين اللذين أخبر عنهما الله في هذه الآية .

المغزى :

تدل هذه الآيات على ما يأتي :

- (١) إن أصدق الخبر ما صدر من لدن صاحبه .
- (٢) إن مبدع الخلق أعلم بما يصلح عباده .
- (٣) إن الهداية الإلهية لا يمكن أن تؤثر إلا فيمن توفرت فيهم صفتان

١ - الاستعداد الفطرى لتقبل الهداية .

ب - توفر الملكة العقلية التي تؤهل صاحبها إلى البحث

في آيات الله والوصول إلى معرفته وصحة رسالة رسوله والتمييز بين الحق والباطل .

الحكم :

وجوب تعميم دراسة القرآن الكريم دراسة تدبر وتفكر ، لأنه كفيل بالهداية .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) .

اللفظ :

(كفروا) جحدوا (سواء) المساواة : المعادلة (أنذرت) أعلنت وحثرت (يؤمنون) يطمنون (ختم) طبع (قلوب) القلب : عضو صنوبري الشكل مودع في الجانب الأيسر من الصدر إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله (سمع) حاسة الأذن (أبصار) حاسة العين (غشاوة) غطاء (عذاب) شدة الايلام (عظيم) ما اتصفت أجزاؤه المتصلة بالكبر .

المعنى :

بعد أن أخبر الله نبيه . بأن ذلك الكتاب هدى للمتقين أكد له بأن غير هؤلاء يعدون كفارا . حيث قال (إن الذين كفروا) بعالم الغيب

وجحدوا وجود الله وأنكروا آياته ورسله واليوم الآخر (سواء عليهم ما أنذرتهم) بعذاب الله (أم لم تنذرهم) به (لا يؤمنون) بما أنزل إليك لأنهم لم يدركوا غير هذه الماديات فلم يتصوروا وجود خالقها فكيف يؤمنون بالله أو بنبي من قبله أو كتاب منزل من عنده؟ أولان نفوسهم الشريرة أبت عليهم الإصغاء إلى أقوالك وتدبر ما أنزل إليك من الآيات البينات حيث كتبوا في الأزل من المغضوب عليهم، وقد (ختم الله على قلوبهم) فأصبحت قاسية متحجرة معاندة ليس فيها الاستعداد الكافي لقبول الهداية الإلهية (و) لذلك (جعل على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) ستارا وحجابا حال بينهم وبين سماع القرءآن ورؤية آيات الله ماثلة أمام أعينهم من المخلوقات والكائنات :

ولله في كل شيء آية تدل على أنه الواحد

فهو المبدع المتصرف في العوالم والموجودات فإذا لم تهدم سنن الكائنات أولا وقبل كل شيء إلى الإيمان بوجود الله ولم ترشدكم كتب الله ثانيا إلى معرفته حق المعرفة وتحثهم على طاعة أمره واجتناب ما نهى عنه ، فلا بدع إذا ما استحقوا حلول الغضب عليهم والنكاية بهم ولا جرم أن ينالوا جزاءهم يوم القيامة (ولهم عذاب عظيم) شديد الإيلام جزاء كفرهم وجحودهم .

المفردى :

تدل هاتان الآيتان على ما يأتي :-

(١) أن من كان مجبولا على العناد والجحود لا تنفع فيه العظات ولا ترجعه عن غيه الآيات والنذر .

(٢) أن من لا يوصله استعداده الفطرى إلى تلبس آيات الله المشاهدة في نفسه وفي عجائب مخلوقاته فذلك مريض ومصاب في قواه العقلية ومشاعره الحسية .

(٣) أن من يجلب على نفسه جناية أو يوقع نفسه في مرض فإنه مؤاخذ على ما اقترفه وسيجزي على عمله .

الحكم :

لا يجوز الكف عن نشر الدعوة الإسلامية والياس من نتائجها ولولم يؤمن بها أحد .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ آمَنُوا ، وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ، وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَا يَعْلَمُونَ (١٢) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا

قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ  
 مُسْتَهْزِءُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وَيَعْدُهُمْ فِي طَعْنِهِمْ  
 يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت  
 تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) .

## اللفظ :

(يخادعون) بضم الياء وكسر الدال مع إثبات الألف وقرئ (يخدعون)  
 بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال من غير ألف : يظهرون خلاف  
 ما يضمرون (يشعرون) يحسون (مرض) فساد في المزاج (عذاب) ما يشق  
 على الانسان (أليم) موجه (يكذبون) بفتح الياء وتخفيف الذال ، يقولون  
 غير ما يعملون ، وقرئ (يكذبون) بضم الياء وتشديد الذال أى لا يصدقون  
 (تفسدوا) تخربوا (مصلحون) محسنون (السفهاء) أصحاب الأخلاق  
 المرذولة الرديئة (يعلمون) يعرفون (خلوا) انفردوا في خلوة (شياطين)  
 المتمردين من الانس والجن (مستهزؤون) ساخرون (يعدهم) يمهلمهم  
 (طغيان) الاسراف في الظلم والمعاصي (يعمهون) يتردون في الضلال  
 (اشتروا) ابتاعوا (الضلالة) الباطل (الهدى) الرشاد (ربحت)  
 كسبت (تجارة) البيع والشراء (مهتدون) سالكون طريقا معبدا  
 يوصل إلى الغاية .



المعنى :

بعد أن أخبر الله نبيه بأمر المتقين والكافرين أراد أن ينبهه إلى أن هناك صنف آخر هم المنافقون فقال ( ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ) بألسنتهم ( وما هم بمؤمنين ) حقا وهم يظنون أنهم باعلان الإيمان باللسان دون القلب ( يخادعون الله ) العليم بما في نفوسهم المطلع على ما تكنه قلوبهم ( والذين آمنوا ) المصدقين لأقوالهم ( وما يخدعون ) في الواقع ( إلا أنفسهم ) لأن دعواهم الإيمان بألسنتهم خُدعة لا تقبل ولا تخفى على الحق سبحانه العالم المطلع على ما في النفوس والقلوب ، ولا تدرأ عنهم عذابه . ورضاء المؤمنين عنهم في هذه الحياة لا يقيهم من الله شيئا فهم بذلك قد أضروا أنفسهم ( وما يشعرون ) بمبلغ الضرر الذي تردوا فيه من كفرهم بالله ومخادعتهم له ، لأن هذه المخادعة منهم دليل على عدم معرفتهم لله إذ لو عرفوه لعرفوا أنه لا يخدع ( في قلوبهم مرض ) ومرض القلب هو عدم طمأنينته واستقراره ( فزادهم الله مرضا ) إذ ابتلاهم بمرض الخوف من الناس فأصيبيوا بداء عضال هو داء النفاق وعرضوا أنفسهم بذلك لنقم الله .

( ولهم عذاب أليم ) في الآخرة ( بما كانوا يكذبون ) بدعوى الإيمان في الحياة الدنيا ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ) أى انتهوا عن هذا النفاق ولا تشككوا الناس في عقائدهم ولا تغيروا نفوسهم وأفكارهم بما تبشونه من الخوف من غير الله ( قالوا إيماننا نحن مصلحون ) لا نريد غير الإصلاح ورضاء الناس ( ألا إنهم هم المفسدون ) لفساد أعمالهم ونفاقهم في أقوالهم وأفعالهم ، والنفاق مصدر الشرور .

وأساس البلاء، وعامل الدمار والأرزاء ، وأكبر معول لهلاك العالم (ولكن لا يشعرون) بهذه الحقيقة ويحسبون أنهم على حق ، وأن من الإصلاح ما هم عليه من هذا الخلق الذميم ، والفعل والقول الأثيم ، (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) وقولوا كلمة الحق الصراح وانشروا الدعوة المحمدية الاسلامية بكل جراءة وبصوت الحق ولسان الصدق (قالوا أتؤمن كما آمن السفهاء) من الناس الذين يعرضون أنفسهم للأخطار ويقبلون الهجرة ، فيزحون من ديارهم ، ويهجرون بلادهم ، ويتركون أوطانهم ، ويتخلون عن عوائد وتقاليد آبائهم . لهذا رد الحق سبحانه عليهم بقوله (ألا إنهم هم السفهاء) لأنهم اتخذوا الجبن ديناً واستولى عليهم الخوف فكان لهم منهجاً ، فحقت عليهم كلمة العذاب والمذلة والضميم والهوان ، وألقوا المداهنة فلم يعد أحد يثق بهم في جميع أفعالهم وأقوالهم ، ولم يكن لهم مبدأ يتمسكون به ، فلم يثبتوا في أعمالهم ولا في آرائهم ، وهذا شأن القوم الذين لا مبدأ لهم ؛ فإن أصحاب المبادئ الصحيحة ، السعادة غايتهم ، والعزة رائداهم ، والكياسة ديدنهم ، فلا يذعنون إلا لصوت الحق ، ولا يدينون إلا للصدق ، فالإيمان بالله قائدهم ، والعقيدة الاسلامية منارهم ، وعنوان حياتهم ، لأن الثبات هو دعامة النجاح ، والصراحة بالحق سبيل الرشاد والفلاح ، وإن الجبن والخوف ، وعدم التمسك بالمبادئ الصحيحة من أكبر أسباب الخذلان والهزيمة ، وليس للمخذول قيمة . والناس من خوف الذل في ذل ، ومن خوف الفقر في فقر ، ولنصرن الله من ينصره (ولكن لا يغفلون) كنهه الإيمان ولا حقيقته ، حتى يميزوا بين الحق والباطل ، ويفرقوا بين السفهاء والعقلاء ، ولهذا فقدوا إدراك ما فيه مصلحتهم .

وتجافوا عن مصلحة غيرهم ، فهم لا يشعرون ولا يعلمون ولا يحسون ، لأنهم لم يتذوقوا حلاوة الإيمان ، فهم عن الهداية مبعدون ، ومن نيل الخير والاسعاد محرومون ، ومن أجل ذلك ظلوا في حالة غير مستقرة ، يخافون من كل شيء ويتلفون إلى كل إنسان وسلطان ، وقلوبهم متحجرة قائمة على الجحود والكفران .

( وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ) ليستميلوهم ، ولينالوا حبهم بالتليس عليهم عند الاجتماع بهم فيقولون كذبا وبهتاناً آمنا كما يمانكم وصدقنا كتصديقكم ( وإذا خلوا إلى شياطينهم ) من كبار المشركين ودعاة الفتنة والإفساد ( قالوا إنا معكم ) مجتمعون في الرأي على عدم الإيمان ( إنما نحن مستهزئون ) بهذه الدعوة إنا نظهر لهم الإيمان استهزاءً بهم ولأجل أن نقف على أسرارهم . ولقد فاتهم أن ( الله ) هو الذي ( يستهزي بهم ) فلا يهديهم إلى سبيل الحق ، ويتركهم في ضلالهم يتخبطون ، وفي عتوهم وكفرهم مغرورون ، وفي غياهب الضلالة تائهون حاترون . ( ويمدهم ) بأن يمهلهم ويجعلهم ( في طغيانهم يعمهون ) لينالوا جزاء هذا النفاق ( أولئك الذين اشتروا الضلالة ) من عادات وتقاليد عاتية ظنوا الخير فيها ( بالهدى ) الذي جاءهم من عند الله وهو الدين الحق ، فرغبوا عن سبيل الهداية وطريق الاستقامة ، ومالوا إلى ما كانوا عليه في الأزمنة الخالية وهي تجارة مزجاة غير رابحة ، ولو كانوا من أصحاب العقول الراجحة ، وسلست فطرتهم من ظلمات الجهل والغواية ، لأدركوا الحقائق ومغزاها ، ونالوا الكالات ومزاياها ، ولكن كتب الشقاء

عليهم لتمسكهم بالباطل ، فأصبحوا من الخاسرين أعمالا لأنهم لم ينالوا الهدى ونوره الذى جاءهم من عند ربهم ، وهو الدين القيم ، والحق المبين ، المدغم باليقين ( فما ربحت تجارتهم ) فى الحياة الدنيا لأنهم عطلوا عقولهم عن فهم كلام الحق فلم يفهموه لتمسكهم بالعادات والتقاليد ، وتحكمت فى نفوسهم الغواية ، فأهملوا مواهبهم ، وأطفأوا نور الهدى بما تهوى أنفسهم من الضلالات التى آثروها فلم تكسبهم عزة ولا سلطانا ولا راحة ولا اطمئنانا ( وما كانوا مهتدين ) فى دينهم ، لأنهم باعوا ما وهبهم الله من نور العقل ، وإشراق الفكر ، ونور الإيمان ، بغياب الأسر للتقاليد ، وظلمات الهوى والشهوات .

### المغزى :

تدل هذه الآيات على ما يأتى :-

- (١) أن المظاهر الخداعة والأساليب الزائفة والعبارات المكلفة لا تعبر غالبا عن حقائق ما تطويه القلوب وما تكنه الضمائر ، فلا ينبغي لعاقل أن يخدع بها .
- (٢) أن من يحاول أن يخدع الله والناس إنما يحاول باطلا بل هو مخدوع بنفسه .
- (٣) أن الخوف مرض نفسى يؤدي إلى داء عضال عسير البرء وهو النفاق .
- (٤) أن عدم قبول النصيحة مما يعرض الانسان إلى الوقيعة والفضيحة .
- (٥) ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها فلا يثق به أحد لتقلبه ، وهذا الصنف من الناس شر ما تبلى به الأمم .

الحكم :

يؤخذ من سياق هذه الآية أن النفاق من الكبائر التي توجب القتل وقد استنتج العلماء من عدم قتل النبي للنفاقين حكمين :

(١) أن القاضى لا يجوز له أن يقتل بعلمه وإن اختلفوا فى جواز الحكم بعلمه .

(٢) أنه يجوز للقاضى عدم إقامة الحد إذا كانت هناك مصلحة لتأليف القلوب وعدم تنفيرها .

مِثْلَهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ  
 ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمُّ  
 بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ  
 ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ  
 الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ  
 يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَخْلَمَ عَلَيْهِمْ  
 قَامُوا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ، وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) .

## اللفظ :

( مثلهم ) المثل : الشبيه والنظير ، وهو حال الشيء وصفته  
« والله المثل الأعلى » ( استوقد ) أشعل ( نارا ) جوهر لطيف مضى  
محرق . ( ضاءت ) النار وأضاءت وأضاءته النار : بمعنى أظهرته بضوئها  
وأنارت ( حوله ) الجهات المحيطة به ( ذهب ) مضى ( نورهم ) النور  
ضد الظلمة ( ترك ) أهمل وصير ( ظلمات ) خفاء النور وذهابه  
( لا يبصرون ) فقدوا بصرهم وبصيرتهم أى عقولهم وفطنتهم ( صم )  
ذهب سمعهم ، وهو آفة تمنع السماع ( بكم ) البكم الخرس ( عمى ) والعمى  
عدم البصر لمن ذهب بصرهم وكان من شأنهم الإبصار ( يرجعون )  
يعودون ( صيب ) المطر ونزوله ( رعد ) هو صوت السحاب واحتكاكه  
ببعضه ( برق ) نور وضياء يصحبان السحاب ( يجعلون ) يضعون ( الصواعق )  
سهام نارية تسقط من السماء مع شدة الرعد ( حذر ) خاف وتأهب  
( يحيط ) شامل ومحدد من جميع النواحي ( يكاد ) بهم ولم يفعل ( يخطف )  
الخطف : هو أخذ الشيء بعجلة وسرعة واستيلاء وسلب ( مشوا ) نقلوا  
أقدامهم من مكان إلى مكان بإرادة منهم ( أظلم ) اختفى نوره ( قاموا )  
ثبتوا فى أماكنهم ( شاء ) أراد وقدر ( ذهب ) صار ومضى ( قدير )  
قوى عليه .

## المعنى :

ضرب الله مثلا للمنافقين فقال : ( مثلهم ) مثل كل واحد منهم جبال  
الإيمان ، كمثل الذى استوقد ناراً ضئيلة لا تستند إلى أساس يمكنها من

البقاء (فلما أضاءت ماحوله) أى فما كادت تضىء ما حوله حتى (ذهب الله بنورهم) فأطفئت تلك النار من تلقاء نفسها، شأن كل شيء لا أساس له سرعان ما يتحلل ويفنى ويزول بحكم النظام الكونى الذى يقضى بذلك (وتركهم فى ظلمات) حالكة دامسة (لا يبصرون) سبيل الخلاص والانقاذ من غياهب الظلمات؛ وهذا شأن المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان ويظهرون غير ما يبطنون ويقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم من الكفر والزيغ، والله يعلم ما تكنه نفوسهم من الجحد والغايات والرغائب النفسية مما يعود عليهم بالخسران ولا يجديهم نفعاً، وسيظلون يتخبطون فى غياهب ظلمهم لأنفسهم ويرزحون تحت أثقال الحياة وتكاليفها، وقد حجب عنهم سبيل الرشاد وطريق الاستقامة المثلى إذ هم (صم) عن سماع النصائح والوعظ (بكم) عن طلب الاسترشاد والوقوف على الوسائل المنجية لهم (عمى) عن رؤية ما بين أيديهم من الآيات الواضحة الكونية المحسوسة التى تنطق بالبينات وتشهد بالقدرة والمعجزات (فهم لا يرجعون) عن غيرهم، لانغماسهم فى كفرهم ونكرانهم وتمسكهم بنفاقهم الذى أشرب فى قلوبهم وأرداهم فى غوايتهم، وقد ضرب الله مثلاً آخر لموقف الإيمان حيال المنافقين فقال: (أو كصيب من السماء) فإن القرءان بآياته الباهرات حياهم كطر ينزل من السماء فيه المدهشات (فيه ظلمات) خوارق وأمور يشفقون من مغبتها وشدة وقعها على النفوس، كموارض البرودة ووهوج الرياح، ووعرة الطريق وتمسكها (ورعد) ينتج من احتكاك السحاب ببعضه يخيف السامعين ويرهب الناظرين (وبرق) يبعث الآمال فى نفوس بنى الإنسان، فإذا يكون موقف قصار النظر حيال هذه الظاهرة؟ إنهم لم يسروا بها ولم

يتحملوا آلامها مقابل ما سيجنونه من ورائها، بل هم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ) إنهم يخافون الموت ويتوقعون الهلاك، ولكنهم لجهلهم وعدم تبصرهم يتقون به بما لا يتق به أو بما لا تدفع به الغوائل عادة فوضع الأصابع في الأذان لا يمنع عنهم وقع الصواعق ولا هي من موانع الصواعق، ولا هي مما يدفع عنهم الموت (والله) مرسل تلك الصواعق ومنزلها ولا راد لها إلا هو (يحيط بالكافرين) فلا راد لقضائه وقدره ولا هم يحذرون بأسه وأمره بوقوع المحتوم ولا ينجي حذر من قدره والله عليم بما في ضمائرهم قادر على هلاكهم أينما كانوا وحيثما حلوا، وإن ما صنعوه من الوقايات لا يغني عنهم من الله شيئاً ومهما تعددت الأسباب وتنوعت فالتموت واحد (يكاد البرق يخطف أبصارهم) من شدة الضوء وهم والحالة هذه لا يحاولون الاستفادة منه بكل معنى الاستفادة وتبوع الخطط المعقولة والطرق النافذة المخلصة من المهالك ؛ بل إنه (كلما أضاء لهم) ذلك البرق تظاهروا بالاستفادة من ضوته و (مشوا فيه) على غير هدى (وإذا أظلم عليهم قاموا) وظلوا في أما كنهم لأنهم في الواقع ونفس الأمر في حيرة لا يعلمون طريقاً سوىاً يسلكونه وهكذا شأن المنافقين التائمين في غفلتهم المستبدين بجهالتهم حيال القرءان الكريم أو الدعوة الإسلامية، فإنها رحمة من الله جاءت بالتعاليم الدينية الخفيفة وفيها الأمر والنهي والوعد والوعيد والانذار والتبشير . أحكام لم تكن مألوفة لهم فيها مشاق العبادات والمعاملات في حدودها، وكبح جماح النفس عن شرورها وتهذيبها، وتطهير القلوب من الدنايا والتجاني عنها، واقضاء الجوارح والنفس عن الشهوات، وإرشاد الناس إلى طريق الهداية وسواء السبيل، ولكنهم يحسدون نعمة تلك الرحمات ويصمون



آذانهم عن سماع الآيات البينات ، وكلما جاءهم الإيمان بما يوافق أهواءهم اتبعوه ، وإذا جاءهم بما لا تهوى نفوسهم عكفوا على ضلالهم وأعرضوا عنه وجافوه (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) أى بحواسهم الظاهرة كما ذهب بحواسهم الباطنة ، وقد جردوا من الشعور والحساسية، وسلبوا القوة العاقلة فلم يسمعوا الهداية، والعظات ولم ينظروا ليصروا الآيات ، حيث علم الله فيهم النفاق بأجلى معانيه ، فأراد أن يقيم عليهم الحجة بالأدلة القاطعة (إن الله على كل شيء قدير) يخلق الأسباب ويبنى عليها المسببات ، ويرتب عليها الجزاء وهو المتصرف فى كل شيء ، يفعل فى ما يشاء ويقضى بين عباده بما يريد .

المفردى :

تدل هذه الآيات على ما يأتى :

(١) أن من يدعى لنفسه ما ليس فيه ، وإن أدخل على الناس ما يدعيه ، فقد أضل نفسه وأضرها ، ولا بد للزمن أن يظهر حقيقته ويكشف أمره .

(٢) أن من الجهل والخسران أن يمهد الله للبرء سبيل الهداية للوصول إلى غاية صالحة مفيدة ، فيدخله الشك ، ويستولى عليه الخوف ، ويقوده العناد والتعننت إلى السير على غير هدى حتى ينقضى الوقت ، وتضيع الفائدة ، ويحرم من نعمة الهداية ويوبؤ بغضب من الله .

الحكم :

تحريم النفاق بجميع أنواعه وضروره .

يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِكُمْ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ  
 فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ  
 الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)

اللفظ :

(الناس) اسم جمع للجميع (اعبدوا) ادعوا (خلقكم) أوجدكم  
 من العدم (تتقون) تحافون (جعل) صنع وصير (فراشاً) الفراش  
 ما ينام عليه (بناء) ما بنى (أنزل) جعله نازلاً وهابطاً من علو إلى  
 أسفل (أخرج) أبرز (الثمرات) حمل وطرح الشجر (رزقا) كل  
 ما ينتفع به (أنداداً) أمثالا ونظراء (تعلمون) تدركون الأشياء  
 بكنهها وحقيقتها .

المعنى :

بعد أن أخبر الله تبيه بأمر المتقين والكافرين والمنافقين ، أمره  
 بالقيام بواجب الدعوة إلى الله فقال قل يا محمد (يا أيها الناس) والخطاب  
 عام لجميع الطبقات وللسامعين لهذا النداء بصورة خاصة (اعبدوا ربكم)

أدعوه لقوله صلى الله عليه وسلم «الدعاء مخ العبادة» وفي رواية «الدعاء هو العبادة» وإخلاص العبادة: هو أن لا تلجئوا ولا تتجهوا بالدعاء في كل أمر من أموركم إلا إلى الله، لأنه هو المنفرد بالربوبية، وتوجيه الدعاء له دليل قاطع على الاعتراف بقدرته والإذعان لإمرته، فهو على كل شيء قدير، وهذا إقرار منكم بعجزكم عن إدراك أية غاية أو دفع أى ضرر إلا بإرادته ومعونته وتوفيقه، وذلك لأنه سبحانه وتعالى (الذي خلقكم) وأوجدكم من العدم (والذين من قبلكم)، وإذا كان هو وحده الموجد لكم جميعاً من العدم والمربي لكم في الحياة، فما كان لكم أن تعتقدوا قدرة غيره على جلب النعم، أو دفع الضرر عنكم، وما كان لكم، وما يكون منكم أن تطلبوا قضاء مصالحكم وحاجياتكم وأداء مطالبكم من غير مولاكم الذي خلقكم وتولاكم وبنعمته والاكم (لعلكم) بهذا التوجه إليه والتفكير في عظمته وهيمنته الربانية وأنه محل الرجاء (تتقون) فتراقبون أنفسكم وتدركون هذه الحقيقة القدسية في رب البرية، فتخافون وتتفكرون في خالق السماوات والأرض. وتمعنون النظر كرة أو كرتين في بدائع آلائه ومدهشات صنعه وتطوفون بتلك الكائنات فتدعون وتقرن لقدرته فتجبن موجدها وخالقها (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) مهدياً صالحاً لحياتكم وأعمالكم اليومية والليلية من مأكل ومشرب ونوم وراحة (والسما بناء) متقناً محكماً متماسكاً حافظاً لتوازنه، ولولا ذلك الفضل من ربكم لفقدتم الراحة من جميع نواحيها، وهجرتم الطمأنينة في سائر أحوالكم من الأحداث وما فيها، ولما كنتم عرضة لوقوع الكوارث مهديين في الحياة الدنيا بسقوط السماء أو مختلف الطوارئ.

وما ينتج عنها (وأُنزل من السماء ماء) ليس في مقدوركم الوصول لمعرفة كنهه ولا حقيقة تركيب عناصره وأبعاده ومواده ، وكيف خلق؟ ومن أين جاء؟ أو كيف يحيي به الأرض بعد موتها؟ (فأخرج) بمحض قدرته وإرادته (به) بمجرد هذا الإنزال من غير أن يكون لكم أى مجهود في ذلك (من الثمرات) نباتا وزرعا وطيبات تأكلون وتتغذون منها أتم وأنعامكم فتدبرّ عليكم ألبانها وأصوافها (رزقا لكم) تنتفعون منه بشتى الفوائد والخيرات فتصنعون من الألبان بعد تحويلها شتى الأنواع من الأطعمة وتدرّ عليكم الأرزاق وتفيض عليكم أثمانها بما يحقق لكم ما تريدون في هذه الحياة الدنيا من مختلف المطالب الضرورية والكفالية ؛ فمن الواجب عليكم أمام هذه النعمة الفياضة والمتعة العظيمة تقدير هذه الهبات (فلا تجعلوا لله) الذى غمركم بكل هذه النعم التى لا تقطع المتسلسلة المتوالية (أندادا) تحبونهم كحبه وتلجئون إليهم فى الشدائد كما تلجئون إليه ، وتدعونهم لقضاء المصالح ، وليس غيره من يقدر على تيسير شئ مما يقدر عليه سبحانه وتعالى وجل جلاله ، فلا ندّ له ولا مماثل ، وجميع المخلوقات مرهوبون له مقهرون وهم فى قبضته (وأتم تعلمون) أن الأمور كلها بيد الله وأنه إذا استطاع الزارع أن يحرث الأرض ويذر البنور ويتعهدا بالسقى والخدمة ويكون له كسب فى رزقه فإنه بعمله هذا وبصنعه لا يستطيع بحال من الأحوال أن يزعم أنه بمقدوره أو بأية صفة قد أوجد الماء وأنبت الزرع ونوع أشكاله وأوجد الأشجار وغيرها من النباتات وألوانها والثمرات ومختلف طعومها والأزهار وبدائع جمالها ، وما فيها من الخواص التى لا تقع تحت حصر مما لا يعلمه إلا الخالق العظيم ، وقد دعا الله الناس بهذه الآيات

اليينات إلى توحيد الألوهية معرضاً بتوحيد الربوبية محذراً لهم من الشرك فلا شريك له . وكل شئ في الوجود ينادى بالوحدانية :

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

وقد أقام الأدلة والبراهين المحسوسة على أنه سبحانه وحده

هو الذي يجيب الداعي إذا دعاه فلا يعبد غيره ولا يعول على سواه .

المفردى :

تدلنا هذه الآية على ما يأتي :-

١ - أن من المعقول أن لا يدعو الإنسان إلا من يعرف أنه

موجود وقادر على تلبية النداء .

٢ - لما كان الله هو ربنا وخالقنا جميعاً وهو الذي ضمن لنا الراحة

وقرر أرزاقنا في الحياة فمن الواجب والمعقول أن نخصه

الدعاء ولا نلجأ إلى أحد سواه .

٣ - أن توجه الانسان إلى الله بالدعاء نتيجة الاعتراف بربوبيته

والإذعان بفيض نعمه بعد تدبر وتفكر مما يؤدي إلى

التقوى .

الحكم :

وجوب إخلاص العبادة لله ، وقد أخذ الشافعي من قوله تعالى

( جعل لكم الأرض فراشا ) حكماً هو عدم الحنث لمن حلف أن لا يفترش

فراشاً ثم بات على الأرض ، لأن اللفظ لا يوجه إليها عرفاً . ويرى

معظم العلماء أن العبرة بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال

بالنيات ولكل امرئ ما نوى » ، وبناء عليه يحنث إذا نوى بالافتراض

الاضطجاع ، ولا يحنث إذا نوى غيره .

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا  
بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي  
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) .

## اللفظ :

(ريب) شك (فأتوا) أحضروا (سورة) آيات من القرآن (مثله)  
نظيره (ادعوا) نادوا (شهداء) جمع شاهد : حاضر قائم بأداء الشهادة  
(صادقين) الذين لا يكذبون (تفعلوا) تعملوا (اتقوا) احذروا  
وخافوا (وقود) ما يوقد به النار (الناس) اسم جمع واحده إنسان  
(أعدت) هيئت وأحضرت (الكافرين) الجاحدين لنعم الله .

## المعنى :

بعد أن أكد الله تبارك وتعالى بأن ذلك الكتاب لا ريب فيه وبين  
موقف الناس حيالهم وأمرهم بعبادة ربهم أخذ يدعوهم إلى الإيمان  
برسوله وكتابه المنزل عليه متخذاً في ذلك طريق الاقناع والتفاهم ، حيث  
قال ( وإن كنتم ) يا أيها الناس ( في ريب ) لا تصدقوا بصحة شيء .

(بما نزلنا) من القرءان (على عبدنا) محمد رسولنا وتشكون في صدوره منا (فأتوا بسورة) ولو صغيرة (من مثله) سواء في أسلوبها وبلاغتها، أو روعتها وطلاوتها وهدايتها (وادعوا) من تعتمدون عليه من شهدائكم الذين يتفقون معكم على مبدأ الإنكار (من دون الله) يؤيدون دعواكم كما أيد الله دعوة عبده ورسوله (إن كنتم صادقين) فيما تدعونه من عقل ودراية فإن في صدور هذا القرءان من رجل عرف بينكم حق المعرفة - بالأمية - لدليل ساطع على أنه بوحى إلهي وأنه منزل من رب العالمين ولا قدرة لمثله أن يأتي به ولا سيما أنه قد أعجزكم جميعا وأتم رجالات البلاغة وأساتذة الفصاحة (فإن لم تفعلوا) ولم تستطيعوا الإتيان بسورة من مثله (ولن تفعلوا) لاستحالة هذا عليكم لأنه من كلام الخالق ولا يمكن للبشر أن يضاهوه وقد تحديتكم بهذا فعجزتم (فاتقوا) تحضنوا بالإيمان بالله ورسوله وبالكتاب من (النار) التي أذرتكم بها في القرءان وهي التي (وقودها الناس) الذين يتخذون من دون الله أندادا (والحجارة) وهي الأصنام التي يعبدونها والتي هي أظهر المعبودات عند العرب كاللآت والعزى وغيرهما، وقد (أعدت) تلك النار (للكافرين) لإحراقهم وتدميرهم ولتصيرهم لها وقودا، ولقد دعا الله الناس بهذه الآيات إلى الإيمان بالقرءان والرسول الذي أنزل عليه القرءان وأقام الأدلة والبراهين على ذلك بأنهم لا يستطيعون الإتيان بمثله، وعقب الدليل على صحة قوله بتهديد المعاندين والمكابرين بنار يصلونها حامية في يوم القيامة ليسترعى الأذهان والنفوس إلى ضرورة التيقظ والاتفات والتنبيه.

المغزى :

يحذر الله الناس في هاتين الآيتين من التشكك في صحة كلام الله ،  
ويطالبهم بتحكيم عقولهم فيما يدعون والعمل على مضاهاة كلامه إن  
كانوا يقدرون ؛ وينذرهم في حالة الإصرار والعناد مع العجز  
بعذاب أليم .

الحكم :

وجوب الإيمان بأن القرءان هو كلام الله وأنه منزل على رسوله .

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، كَمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ نَمْرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا  
الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَأَوْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ  
مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) .

اللفظ :

( بشر ) بلغ خيرا مفرحا ( عملوا ) صنعوا ( الصالحات ) الحسنات  
العظيمة ( جنات ) حدائق ذات أشجار دائم نعيمها ( تجرى ) تسيل  
( الأنهار ) الماء الجارى المتسع ( رزقوا ) نالوا ( متشابها ) متماثلا  
( أزواج ) جمع زوج : البعل والزوجة من الذكر والأنثى ( مطهرة )  
تظيفة من الأدران والأقدار ( خالدون ) باقون بقاء لا آخر له .



المعنى :

بعد أن أثبت الحق سبحانه وتعالى الرسالة بما تحدى به الناس من الإتيان بمثل ما أنزل على الرسول وعرض بذكر ما أعد من عذاب يوم القيامة عقب على ذلك بالإخبار عما هنالك من نعيم مقيم جمعا بين الترغيب والترهيب ، حيث قال ( وبشر الذين آمنوا ) بالله وآياته ورسوله ( وعملوا الصالحات ) مما أمروا به من الطاعات ( أن لهم ) في الآخرة مثلما لهم في الدنيا من ( جنات ) كلفوا بحبها والحسين إليها في هذه الحياة ( تجرى من تحتها الأنهار ) بشكل أجل وأعظم وأجمل مما يخاطر على البال بحيث لا يجدون هناك فروقا بين الحياتين، إلا أن الحياة الدنيا كانت مشمولة بالشقاء مشوبة بالتعب والنصب مهددة بالفناء والزوال ؛ وتلك الأخرى هي محل الاستقرار والهدوء ، محل الراحة والاطمئنان والدوام ( كلما رزقوا منها ) من تلك الجنات في الآخرة ( من ثمرة رزقا ) فرحوا به ( قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ) فالحمد لله الذي أطعمنا في هذه الحياة ما كنا نلتذ به في الدنيا ولا نكاد نجده إلا بشق الأنفس وفي مواسم مخصوصة وها نحن نجده الآن ميسورا في كل آن ( وأتوا به ) فجاءهم الرزق ( متشابها ) لكمال هناءتهم ، فلولا هذا التشابه بين ثمار الآخرة وثمار الدنيا لما أعجبوا به كل هذا الإعجاب ووجدوا به منتهى السرور والارتياح ، فالنفس ميالة إلى حب ما جبلت عليه وألفتها ولو كان مرأ ، ومن شأنها أنها تنفر مما لم تألفه ولو كان شها شهدا ( ولهم فيها أزواج ) فالمرأة تجد لها بعلا والرجل يجد له زوجة ( مطهرة ) من كل عيب

خلقى وجسمانى ( وهم فيها خالدون ) وسيظلون على تلك الحال فى الجنة لا يخرجون منها ولا هى تفنى فيزولوا بزوالها، جعلنا الله فى زميرتهم وكتبنا فيهم ومنهم بفضله وكرمه .

المفردى :

تدلنا هذه الآية على :-

١ - أن المؤمن إذا سار فى حياته على هدى القراءان وصلح عمله

فقد ضمن الله له الجنة وعدا عليه حقا .

٢ - أن الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين أوصافها كالاتى :-

أ - الرزق فيها ميسور من غير تعب أو نصب .

ب - الأنهار تجرى من تحتها .

ج - ثمارها مشابهة لثمار الدنيا فى النوع، وتمتاز بإبداع حسنها وألوانها .

د - الزواج بها ميسور للرجال والنساء على حد سواء .

هـ - نعيمها خالد لا يزول .

الحكم :

أجمع العلماء أن البشرى هى النبأ المفاجئ الذى يدخل السرور على النفس، فبنوا على هذا حكما هو أنه لو قال رجل لعبيده أيكم بشرنى بكيت وكيت فهو حر فبشروه بذلك واحدا واحدا ( فرادى ) عتق أولهم، بخلاف ما إذا قال أيكم أخبرنى بكذا فهو حر فأخبروه بذلك فرادى عتقوا جميعا عند الشافعى وعند غيره ( لا ) بل العبرة بما نوى من معنى الخبر .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا  
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ  
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا  
وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)

اللفظ :

( يستحي ) يمتنع ( يضرب ) يجعل ويبين ( مثلا ) شها ونظيرا  
( بعوضة ) الحيوان المعروف ( ما فوقها ) ما زاد عليها ( الحق ) ضد  
الباطل ( أراد ) أحب ( يضل ) يصيره إلى الضلال ( يهدى )  
يرشد ( الفاسقين ) الخارجين عن طريق الحق والصلاح .

المعنى :

بعد أن أثبت الله سبحانه أن هذا القرمان قد نزل من عنده وتحدى  
الجميع على الاتيان بسورة من مثله قرر حقيقة أخرى هي أنه لا يطعن  
في فصاحته وبلاغته أنه جاء مليئا بالأمثال فقال ( إن الله لا يستحي أن  
يضرب ) في القرمان ( مثلا ما بعوضة ) أى بالبعوضة ومثيلاتها كالذباب  
أو العنكبوت ( فما فوقها ) ما فاقها في مرتبة الصغر والحقارة ( فأما الذين  
آمنوا ) بأنه من عند الله ( فيعلمون أنه ) ما جاء بهذه الأمثال إلا لزيادة  
الإيضاح والتبيان وليخاطب الناس على قدر عقولهم ويقرب الأمر إلى

أذهانهم فهو (الحق) الذى لا مرأى فيه (من ربهم) فيحملهم هذا العلم على التفكير في حقائق الأشياء والتأمل في بدائع المخلوقات فيزدادون إيماناً (وأما الذين كفروا) بالقرءان ووجدوا تنزيهه من عند الله (فيقولون) لقصّر نظرهم (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) أى ما هو الداعى لهذا المثال ، ولو سلمت نفوسهم من الريب لتركوا الاعتراض وأيقنوا بأن ذلك لا يخلو عن حكمة ، ولعل في ذكر مثل من هذه الأمثال في القرءان ما يمتحن الله به قلوب عباده وذلك أن (يضل به كثيراً) نتيجة اعتراضهم وربيتهم (ويهدى به كثيراً) جزاء إيمانهم وتسليمهم (وما يضل) الله (به) بما ذكر من الأمثال (إلا الفاسقين) الذين بينهم الله سبحانه وتعالى فيما بعد حيث وصفهم بصفات ثلاث: هى نقض العهد ، وقطع ما يجب أن يوصل ، والافساد فى الأرض ، وسجل عليهم بذلك الخسران المبين .

المفردى :

تدل هذه الآية على ما يأتى :-

- (١) لا غرابة ولا دهشة أن يضرب الله للناس الأمثال مهما كان شأنها فى الحقارة أو العظم عظمة وإرشادا .
- (٢) إذا كان فى القرءان ما لا يتضح معناه لبعض السامعين فإنه يعد ميزانا لمعقولات الناس حيث تثبت به قلوب المؤمنين وتزيغ منه قلوب الضالين الفاسقين .

الحكم :

يجب الاعتقاد بأن كل ما جاء فى القرءان إنما وضع لحكمة ويحرم التشكك فيه والاعتراض عليه .

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ  
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، أُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ (٢٧)

## اللفظ :

(ينقضون) يفسدون الأمر بعد إحكامه (عهد) الضمان والذمة  
(ميثاق) عقد مؤكد يمين (يقطعون) يفصلون (يوصل) يربط  
بعضه ببعض (يفسدون) الفساد الإساءة إلى النفس والغير (الخاسرون)  
الضالون المالكون .

## المعنى :

بعد أن ذكر الله في الآية السابقة الفاسقين أراد أن يبين من  
هم المقصودون بذلك فقال هم (الذين ينقضون عهد الله) الذي أخذه  
عليهم بتعاليم الرسل والأنبياء من حفظ حواسمهم واستعمال مواهبهم  
فيما خلقت لها ، والوفاء للناس فيما عاهدوهم عليه (من بعدميثاقه) وتدعيمه  
بالإيمان بالله وتصديق رسله وكتبه ، أو تأكيده للناس بالحلف بالله ،  
لما يترتب على نقض العهد الأول من اختلال النظام الكوني وعموم  
الفوضى في جميع الشؤون .

ويترتب على نقض العهد الثاني انتزاع الثقة بين الناس في جميع  
معاملاتهم ، وفقدان التعاون في المحافظة على مرافق الحياة ، (ويقطعون  
ما أمر الله به أن يوصل) من روابط المودة والإخاء بين المسلمين عامة

والأقربين من ذوى الرحم والجيرة خاصة لما يترتب على ذلك من التقاطع بينهم وحلول العداء محل الوثام والولاء (ويفسدون فى الأرض) بارتكاب المحرمات التى لم يمنع الله من إتيانها إلا لما فيها من المضرات اللاّحقة بالنوع البشرى، فيعم الخراب والدمار وتسود الفوضى، ويختل نظام العمران .

( أو لئلك ) الذين يتصفون بإحدى تلك الصفات الثلاث (هم الخاسرون) الذين أفسدوا بصنيعهم هذا، فكانت الواقعة منهم ومغبتها عليهم، فحسروا الدنيا وما فيها فلا يجدون نعمة الراحة ولا يتذوقون معنى للسعادة وخسروا الآخرة لأنهم لم يتزودوا لها بمعدات التقوى .

المغزى :

ترشدنا هذه الآية الكريمة إلى أن الفسقة الخاسرين فى الحياة الدنيا ثلاث :-

- ١ - ناقض العهد .
- ٢ - العامل لفصم عروة الإخاء بين المسلمين وذوى الرحم خاصة .
- ٣ - المفسدون فى الأرض بارتكاب المحرمات .

الحكم :

تحريم نقض العهد وقطيعة الرحم ؛ وقد قسم العلماء العهد إلى قسمين : أحدهما الحلف على الامتناع عن الشيء أو الإقدام عليه من جانب واحد فهذا تجب الكفارة بنقضه . والثانى العهد الذى يرتبط به المتعاقدان على ما يجوز فى الشرع ويلزم فى الحكم إما على الخصوص بينهما وإما على العموم فهذا لا يجوز نقضه ولا تجزى فيه الكفارة .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِمَّا يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

اللفظ :

(تكفرون) تجحدون (أمواتا) لا روح فيكم (أحياكم) نفخ الروح فيكم (ترجعون) تعودون (خلق) أوجد من العدم (جميعا) جماعة الناس (استوى) استقام واعتدل وإذا عدى بالى اقتضى معنى الانتهاء إليه (سواهن) جعلها مستوية غير معوجة (سموات) ما نشاهده فوقنا كقبة زرقاء فى الفضاء الواسع (شئ) ما يصح أن يعلم أو يخبر عنه (عليم) الموصوف بالعلم .

المعنى :

بعد أن أمر الله نبيه بدعوة الناس لإخلاص العبادة له والايان برسله وكتبه واليوم الآخر والتسليم إلى الله فيما لم تصل أذهانهم إلى فهمه من كتاب الله أخذ يوبخ المعاندين الكافرين على سوء عملهم وبين لهم أخطأهم فى هذا الاصرار على الكفر بقوله ( كيف تكفرون بالله ) وبكل ما طلب منكم الإيمان به ، ولديكم من الحقائق مالو أقيتم عليها نظرة بسيطة لأفقتكم من غفلتكم ورجعتكم عن جحودكم (و) قد ( كتم ) قبل

خلقكم في هذه الحياة (أمواتا) لا وجود لكم ولا أثر لأرواحكم بالمرة، فكوّنكم في بطون أمهاتكم من نطفة ثم من علقة ثم سواكم لحما وعظما (فأحياكم) بنفخ الروح فيكم ثم أخرجكم إلى هذه الحياة الدنيا (ثم يميتكم) بانزعاع الروح من أجسادكم في اللحظة التي يقدرها لكم (ثم يحييكم) حياة أخرى برزخية غير هذه بالروح في العالم غير المنظور (ثم إليه) في اليوم الموعود وهو يوم القيامة (ترجعون) بأجسامكم وأرواحكم لتنالوا جزاء أعمالكم (هو الذي) عند خلقكم لم يترككم هملا بل (خلق لكم) كل (ما في الأرض جميعا) من أخضر ويابس وذى روح وغير ذى روح كلها مسخرة لمصالحكم ومهياة لاستفادتكم منها بمختلف الوسائل وشتى المنافع (ثم استوى إلى السماء) استواء لائقا بجلاله وعظمته (فسواهن سبع سموات) طباقا لمصالحكم ومنفعتكم أيضا فهي تكيف لكم الحرارة والبرودة، وبكواكبها وأجرامها تستضيئون وتستشفون وتهتدون في ظلمات الليل البهيم إلى غير ذلك من المنافع التي إن غمت عليكم فإنه سبحانه وتعالى الخالق لها يعلم ثمرتها ومزاياها، وهو القدير على إرشادكم إليها شيئا فشيئا في الوقت الذي يريد (وهو بكل شيء عليم) فإيكون لكم أن تكفروا به وتجحدوا كل هذه النعم الجليلة التي أغدقها عليكم ظاهرة وباطنة .

المفردى :

ترشدنا هاتان الآيتان إلى أن التعمق في البحوث فيما يأتي بدقة ونظر صحيح خال من الأغراض والميل مع الهوى يكسب قوة الإيمان وعظمة اليقين وهي :



- ١ - خلق الانسان وتكوينه وما يعتريه من تطورات الحياة والفناء .
- ٢ - قدرة الله في تسخير كل شيء وإخضاعه لهيمنة الانسان وسلطانه .
- ٣ - خلق السماوات وما بها من طبقات وكواكب وأجرام .

الحكم :

استنتج العلماء من قوله تعالى : خلق لكم ما في الأرض جميعا ، أن الأصل في كل شيء الحل والانتفاع به بمختلف الأشكال ما لم يرد نص بالتحريم .

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً  
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ  
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ  
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ،  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ  
فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

## اللفظ :

(الملائكة) أجسام نورانية روحية خفية ذات قوى عظيمة (جاعل) صانع خالق (خليفة) الامام الذي ليس فوقه إمام (يفسد) يعتدى ويأخذ المال ظلماً (يسفك) يسيل (الدماء) السائل الأحمر الذي يجري في عروق الحيوان (نسج) نمجد ونزه (بحمدك) بالثناء عليك (نقدس) نظهر أنفسنا (أعلم) أدرك الحقيقة (علم) جعله يعلم (الاسماء) جمع اسم، وهو اللفظ الموضوع على جوهر أو عرض لتعيينه وتميزه (عرضهم) أظهرهم وأراهم (أنبئونى) أخبرونى (سبحانك) نبرأ إليك (الحكيم) صاحب الحكمة (غيب) كل ما غاب عن العلم والنظر (تبدون) تظهرون (تكتمون) تخفون .

## المعنى :

لقد عدد الله نعمه على الناس حيث ذكرهم بأصل النشأة الأولى عند ما أراد سبحانه خلق الإنسان ، فقال (وإذ قال ربك للملائكة) الذين خلقوا من قبل (إني جاعل في الأرض خليفة) ينوب عنى في الحكم بالعدل بين المتخاصمين ، وإقامة الحدود على المجرمين ، ونشر السلام بين العالمين ، فأدرك الملائكة من هذا أنه لا بد وأن يكون على البسيطة ظلمة سفاحون يحتاجون إلى من يقيم العدل بينهم ، ولذلك (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) بالظلم (ويسفك الدماء) بالاعتداء (ونحن) قد خلقنا من قبل (نسبح بحمدك) ولا نزال نسبح في سرنا ووجهرنا (ونقدس لك) نعمك وعظيم فيضك، ولا نعصى لك

أمرنا ولسنا في حاجة إلى خليفة يقضى بيننا في شأن من الشؤون فلماذا  
تخلق خلقا غيرنا في الأرض يسير على غير نهجنا ويحتاج إلى نصب  
خليفة يقيم العدل ويردع الظالم؟ (قال إني أعلم ما لا تعلمون) لأنني  
أنا الخالق أعلم بإرادتي، وأعرف ما أرمى إليه، ولى في كل ذلك  
حكمة، فلو لا الظلم لما كان العدل، ولو لا الذنب لما تجلّت ثمرة الغفران،  
وهذه المخلوقات جميعها ما خلقت إلا للمصلحة الانسان ولا يستطيع  
استخدامها أحد سواه، ولأجل أن يبين سبحانه وتعالى مزية الانسان  
وأهميته في الوجود ويقنع الملائكة بخطئهم في تصوراتهم، عمد إلى آدم  
فعلبه كل شيء حيث قال (وعلم) الله (آدم) بعد خلقه بالفطرة وإلهام  
النفسى (الأسماء كلها) الدالة على جميع الكائنات والمخلوقات، وما فيها  
من أسرار وحكمة، والعلم بالدليل يستلزم العلم بالمدلول بصفته وحقيقته  
وخواصه (ثم عرضهم) أى هذه المخلوقات (على الملائكة) مستفتيا  
عن مجرد أسمائها (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) المسميات (إن كنتم  
صادقين) فيما تحسبون أنه لأنفسكم من مكانة عليية جعلتكم تستنتجون من  
تنصيب الخليفة إيجاد المفسدين السفاحين، وسوغت لكم الاستيضاح  
عن حقيقة ما أريد، وقد عجز الملائكة عندئذ عن معرفة أسماء تلك  
المسميات لأن الله لم يجعل لهم ملكة هذه المعرفة فأدر كوا أخطاءهم  
فيما صدر منهم وأنا بوا إلى الله و(قالوا سبحانك) ربنا تبنا إليك (لاعلم  
لنا إلا ما علمتنا) ومعرفتنا محصورة ضمن الدائرة التي حددتها لنا (إنك  
أنت العليم) بمقاصدنا (الحكيم) الذي لا يوجد شيئا إلا عن حكمة  
(قال) الله (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) أى أسماء هذه المسميات (فلبس  
أنبأهم) آدم (بأسمائهم قال) الله للملائكة (ألم أقل لكم إني أعلم غيب

السموات والأرض) وها أنا قد ميزت آدم عنكم بالعلم بأسرار هذه المخلوقات وخواصها وقد عجزتم عن إدراك أسماؤها فقط، ومن هذا تعلمون ثمرة خلق آدم وما أريده من عمار الكون عن طريقه (وأعلم ما تبدون) من ظاهر ما قلتم (وما كنتم تكتمون) من حب الاستطلاع والرغبة في معرفة حكمة جعلي الخليفة وخلقى للانسان .

المفردى :

تدل هذه الآية على ما يأتى :-

- (١) أن الله سبحانه وتعالى هو الذى علم آدم أول دروس فى الحياة وأسرارها والأسماء ومسمياتها .
- (٢) أن العلم ضرورى للانسان، إذ به يصابن عما فى فطرته من الظلم والعدوان.
- (٣) أن العلم شرط فىمن ولى ولاية الأحكام .
- (٤) أن علم الملائكة محدود فى دائرة خاصة وقاصر عن علم الانسان .

الحكم :

وجوب التسليم لله فيما يستعصى علينا فهمه، والاعتقاد الجازم بأن له فى كل شىء حكمة يعلمها سبحانه .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
 أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ  
 أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَازَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا  
فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ  
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَىٰ آدَمُ  
مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)

اللفظ :

( الملائكة ) أجسام نورانية روحية خفية ذات قوى عظيمة  
( اسجدوا ) اخضعوا أو ضعوا جباهكم على الأرض ( إبليس ) روح  
شريرة خفية ( أبى ) كره ولم يرض ( استكبر ) تعاضم في نفسه ( الكافرين )  
المجاهدين نعم ربهم ( اسكن ) أقم واتخذ سكنا ( الجنة ) الفردوس  
الدائم النعيم ( رعدا ) عيشا طيبا ( تقريبا ) تدنوا ( الظالم ) من يضع  
الشيء في غير محله ، أو يجور أو ينقص الحق ( أزلهما ) حملهما على الزلل  
والوقوع في المعصية ، وقرىء ( فأزالهما ) نجاهما ( الشيطان ) كل عات  
متمرد ( اهبطوا ) انزلوا ( عدو ) خصم ( مستقر ) موضع الاستقرار  
والسكن ( متاع ) ما ينتفع به انتفاعا قليلا غير باق ( حين ) وقت ( تلقى )  
تلقن ( تاب عليه ) غفر له .

المعنى :

بعد أن ذكر الله الناس بقصة خلق آدم وتمييزه على الملائكة بالعلم  
ثني بذكر منة أخرى له عليه ، وهي تفضيله عليهم في المقام حيث قال  
( وإذ قلنا للملائكة ) بعد أن قامت الحججة عليهم واعترفوا بقصر نظرهم

(اسجدوا) سجود إجلال واحترام لا يسجد عبادة « فإن ذلك لا يكون إلا لله » (لآدم) الذي هو أصل السلالة البشرية (فسجدوا) جميعا له (إلا إبليس) فإنه (أبى) إطاعة الأمر (واستكبر) وأخذته عزة النفس أن يسجد لمخلوق يراه في نظره أحقر أصلا وأحط درجة منه (وكان) بذلك في علم الله (من الكافرين) المعاندين الذين لم يتهيأوا للطاعة ، وقد تعتمد العصيان والتمرد وأصر عليهما فعلا ، فلا غرو إذا ما أضحي بذلك زعيم الكافرين . وكان من نعم الله التي عددها على الناس أيضا أنه أعد لآدم الجنة دار إقامة ، فما رعاها حق رعايتها حتى استحق الإخراج منها حيث قال تعالى ( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ) واتخذها محل إقامةكما ( وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ) ولم يسم الله لنا تلك الشجرة فيجب أن لا نقول في تعيينها شيئا (فكونا) لمخالفتكما لأمر النهي (من الظالمين) لأنفسهم بوضعهم لها في المستوى الذي لا يليق بهما أن يكونا فيه من العصيان وكفران النعم ( فأزلهما الشيطان عنها ) أى الجنة بما زين لهما من مخالفة الأمر ( فأخرجهما مما كانا فيه ) من نعيم الجنة ومتاعها حيث استحقا غضب الله عليهما فما كان منه سبحانه وتعالى إلا أن قال ( وقلنا اهبطوا ) أيها العاصون من إبليس وأتباعه وآدم وزوجه ( بعضكم لبعض عدو ) عداوة متأصلة يتوارثها الأبناء عن الآباء ما ذكروا هذه القصة ( ولكم في الأرض مستقر ) مؤقت ( ومتاع إلى حين ) ثم تعودون إلى حياة الخلود الدائمة وهى الحياة الأخرى ، وهذا ما أطمع آدم في عفو ربه فندم على ما فرط منه وأتاب ( فتلقى آدم من ربه ) عن طريق الإلهام ( كلمات ) قالها ، وهى على الأصح وربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) ( فتاب عليه )

وتجاوز عن عقابه على تلك الزلة عقابا مؤبدا ( إنه هو التواب ) الذى يقبل التوبة من عباده ( الرحيم ) الذى يعطف عليهم لضعفهم وانكسارهم ، ولقد سجل الله بهذه الآيات الكريمة منا عظمى له على الإنسان : الأولى أنه أخضع له كرام خلقه وهم الملائكة حيث أمرهم بالسجود له . الثانية أنه جعل إقامته الدائمة ستكون فى الجنة وأن هبوطه إلى الأرض ما كان إلا لفترة محدودة وعقابا على زلة ارتكبها . الثالثة أنه فتح له فى ساعة الزلة باب التوبة وألهمه من الكلمات ما هو سبيل الغفران .

المفردى :

تدل هذه الآيات على ما يأتى :-

- ١ - أن الله قد فضل النوع الإنسانى على الملائكة لأنهم كفوا فى الحياة بتكاليف من شأنها العمل للدنيا والآخرة .
- ٢ - أن الله قد أخضع لآدم وأبنائه من بعده معظم القوى الروحية الخفية ولم يشذ منها إلا روح شريرة تدعو إلى العصيان ، فمن تابعها زل وهوى ومن قهرها ولم يطعها نجح وفاز بالرضوان .
- ٣ - أن التعاضم والكبرياء والأناية هى فى المرء رأس كل بلية
- ٤ - أن المعاصى تزيل النعم .
- ٤ - أن التوبة تمحو الذنوب وتستجلب الرضوان .

الحكم :

يجب على من وقع فى معصية أن يبادر بالتوبة بحسب ما يملكه عليه قلبه ، ولقد فرغ العلماء من قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة ، فأزلهما

فأخرجهما ، حكما . هو أنه إذا كان النهى موجها إلى شخصين لا تترتب العقوبة إلا باشتراكهما في ارتكاب المنهى عنه ، وترتب على هذا خلاف بين العلماء فيما إذا قال رجل لزوجتيه إن دخلتما الدار فأتتما طالقتان فدخلت إحداهما فقط ، فقال فريق بعدم وقوع الطلاق مطلقا إلا بدخولهما ، وقال آخرون بوقوع الطلاق لأن بعض الحنث حنث ، وقال فريق ثالث تطلق التي دخلت وحدها لأن دخول كل واحدة منهما شرط في طلاقها ، والصحيح أن العبرة بالنية فإن لم تكن هناك نية فالرأى الأخير أصوب والثاني أبعد عن الصواب لأن بعض الشرط لا يكون شرطا إجماعا .

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ، فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) .

اللفظ :

( اهبطوا ) انزلوا ( يأتينكم ) يجيئكم ( هدى ) بيان أو دلالة إلى الرشاد ( خوف ) فزع ( يحزنون ) يتوجعون من الهم ( كفروا ) جحدوا ( كذبوا بآياتنا ) نسبوها إلى الكذب ( أصحاب النار ) ملازموها ( خالدون ) مقيمون دائما .



المعنى :

بعد أن تلقى آدم بشاراة التوبة من ربه وقف طامعا أن يكون من مقتضى التوبة العفو والتجاوز عن الهبوط إلى الأرض ولكنه بالنظر لأن أمر الهبوط كان مشتركا بين آدم وإبليس الذى لم يستغفر ولم يندم كرر الله الأمر حيث قال ( قلنا اهبطوا منها جميعا ) إلى الأرض كما سبقت إرادتى بذلك من قبل ، على أن تظلوا فى دور اختبار دائم وإنى سأصدر عليكم أوامر أخرى كلها لمصلحتكم ( فإما يأتينكم منى هدى ) عن طريق رسول من قبلى أو كتاب منزل منى ( فمن تبع هداى ) وأطاع أوامرى واجتنب ما أنهأه عنه ( فلا خوف عليهم ) من حلول نقمة الله بهم ما داموا سائرين على طريق الهدى . ( ولا هم يحزنون ) على ما فاتهم من سكنى الجنان لأنهم واثقون من عودتهم إليها بقدره الله الذى عفا عنهم ولم يقصد بهم سوءا فى هذه الأرض ، وما دامت إرادة الله قد قضت بالهبوط إلى الأرض مؤقتا فلا بد وأن يكون لهم من ورائه الخير الجزيل ( والذين كفروا ) بنا ( وكذبوا بآيتنا ) الموضحة لسبيل الهدى والتى أشير إليها من قبل ( أولئك أصحاب النار ) التى أعدت خصيصا لهم و ( هم فيها خالدون ) إلى ما لا نهاية .

المفردى :

تنبهنا هذه الآيات إلى ما يأتى :-

١ - أننا نجتاز فى هذه الحياة الدنيا دور اختبار مماثل للوقف الذى وقفه آدم عليه السلام من قبل اتجاه إبليس ، فمن أطاع الله واتبع أوامره وأتأب إليه سبحانه وتعالى عن المعاصى نجأ،

ومن اتبع إبليس وعصى ربه ولم يرجع اليه بالتوبة والندامة  
استحق عذابه وعقوبته .

٢ - أن من سنة الله في الخلق أن الخير يخص والشر يعم ، وأن  
العفو لا يقتضى التجاوز عن جميع العقوبات .

الحكم :

وجوب اليقظة والحذر من غواية إبليس وما يزينه الشيطان من  
السيئات .

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ كَرَّمْنَا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَوْفُوا  
بِعَهْدِي أَوْفٍ بِمَهْدِكُمْ، وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ (٤٠) وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ  
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ، وَلَا تَشْتَرُوا  
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ (٤١) وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ  
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ .

اللفظ :

(إسرائيل) لقب نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم  
السلام (اذكروا) احفظوا (نعمتي) الصنعة وما يؤتيه الله من رزق

وغيره (أنعمت) أوصلت (أوفوا بعهدى) حافظوا عليه (ارهبون) خافون (آمنوا) ثقوا (أنزلت) أوحيت به إلى رسولى (مصدقا) مؤيدا (كافر) جاحد (تشتروا) تملكوا (آياتى) الآيات: الدلائل التى يؤيد الله بها أنبياءه (ثمنا) ما كان عوض البيع (اتقوا) خافوا واحذروا (تلبسوا) تخطوا حتى يصير متشابهها (تكنموا) تخفوا (تعلمون) تعرفون (أقيموا) أديموا (آتوا) أعطوا (اركعوا) طأطأوا رموسكم بالحركات المعلومة فى الصلاة .

### المعنى :

بعد أن حاج الله الكافرين وذكرهم بأنعمه على الإنسان منذ نشأته، أخذ يخاطب الأمم والشعوب المنتشرة فى البلاد التى أرسل إليها الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم وبدأ فى هذه الآيات بذكر بنى إسرائيل لأن كثيرا منهم كان يسكن يثرب ولأنهم كانوا أشدهم الناس على المؤمنين وطأة وأكثرهم عنادا فقال (يا بنى إسرائيل) من قومهم (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) وهى أجل من أن تحصى (وأوفوا بعهدى) الذى عاهدتكم عليه من إخلاص العبادة لى وعدم الإشراك بى والإيمان برسلى والخضوع لأحكامى وشرائعى من اتباع الأوامر واجتناب النواهى (أوف بعهدكم) الذى قطعت لكم من قولى « لا كفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (وياى فارهبون) لا تظنوا أن الأمر يقف عند هذا الحد بل إنكم إذا لم تقفوا بعهدى فاحذروا غضبى ونقمتى فانى شديد العقاب (وآمنوا بما أنزلت) على رسولى محمد (مصدقا) لما معكم من التوراة والإنجيل وذلك الكتاب

المنزل عليه هو القرءان ، الذي يقرر في تعاليمه أن موسى وعيسى أنبياء وأن التوراة والإنجيل حق (ولا تكونوا أول كافرين) جاحد بالقرءان مع العلم بأن كفر قريش كان مع الجهل لامع المعرفة ( ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ) لا تفرطوا فيما جاءكم بآياتي من الهدى مقابل بعض مصالح دنيوية ساقطة ترجونها من المكذبين بهذه الآيات ، فاهم في الواقع بمالكين للعتاء ، بل إني أنا الله وحدي المعطي الرزاق فأمنوا بي خيرا لكم ( وإياي فاتقون ) لأعقد عليكم الرزق وأنيلكم فوق ما كنتم تنتظرون ( ولا تلبسوا الحق بالباطل ) بتشويه الحقائق وتشكيك العقائد ووضع الشبهات التي تضللون بها غيركم لا تباعكم ( ولا تكتسبوا الحق ) بمنع الناس من الوصول إليه أو بإخفائه أو بالطعن فيه ( وأنتم تعلمون ) ما يترتب على عملكم هذا من المفساد والإضرار بالناس ( وأقيموا الصلاة ) في أوقاتها ( وآتوا الزكاة ) لمستحقها ( واركعوا ) اخضعوا لله ( مع الراكعين ) الخاضعين لأوامره المجتمعين لأداء واجباته .

### المفردى :

تنبه هذه الآيات إلى ما يأتي : -

(١) من ذكر نعمة الله عليه حفظ الله عليه نعمه .

(٢) من وفى بعهد الله وفى الله بعهده .

(٣) من نكث عهد الله فإنما ينكث على نفسه .

(٤) لا يتحقق معنى الإيمان إلا فيمن توفرت فيه هذه الشروط :

١ - التصديق بالسكتب المنزلة جميعها ؛ والقرءان بصورة

خاصة باعتباره هو آخر كتاب جاء مصدقا ومشتملا على ما قبله .

ب — الحرص على التمسك بالدين وعدم التساهل فيه وجعله وسيلة للارتزاق .

- ح — الصدوع بالحق وعدم المواربة فيه أو كتمانها .  
 د — المحافظة على الصلاة في أوقاتها وأداء الزكاة لمستحقها .  
 هـ — ملازمة الجماعة وعدم الخروج عن إجماع المسلمين .

الحكم :

حرمة نقض العهد وحرمة التضييل ووجوب الجهر بالحق وحرمة كتمانها ووجوب أداء الصلاة والزكاة والحرص على الجماعة .

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ  
 الْكِتَابَ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّهَا  
 لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا  
 رَبَّهُمْ، وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) .

اللفظ :

( تأمرون ) تكلفون ( البر ) الإحسان والطاعة ( تنسون ) لا تتذكرون ( أنفسكم ) ذاتكم ( تتلون ) تقرأون ( الكتاب ) ما نزل

من عند الله (تعقلون) تدركون الخطأ من الصواب (استعينوا) اطلبوا المساعدة والعون (الصبر) احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم (الصلاة) الفريضة المعلومة (كبيرة) ثقيلة وشديدة الوقع (الخاشعين) الخاضعين (يظنون) يوقنون مع احتمال النقيض (ملاقوا ربهم) يتوقعون لقاءه (راجعون) عائدون .

### المعنى :

بعد أن ذكر الله بنى إسرائيل بنعمه عليهم وبين لهم ما يجب أن يكونوا عليه ونهاهم عما يجب أن يتزهوا عنه وأمرهم بالصلاة والزكاة والتسك بالجماعة ، أخذ يؤنبهم على ما في نفوسهم من خلق ذميم هو أنهم كانوا قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركى العرب أن رسولا سيظهر منهم يدعو إلى الحق وكانوا يرغبونهم فى اتباعه ، فلما بعث الله محمدا كفروا به فبكتهم الله على ذلك بقوله (أتأمرون الناس) من قبل بعثة النبي (بالبر) وهو اتباع ذلك النبي المنتظر (وتنسون أنفسكم) فلا تتبعونه عندما ظهر (وأتمتلكون الكتاب) الذى أنزل عليكم مع موسى وعيسى من التوراة والإنجيل وكأها تخبركم ببعثة هذا النبي الأمي (أفلا تعقلون) لأن العاقل إذا اقتنع بأمر فيه مصلحة فهو أحق باتباعه فإن لم يتبعه فليس بعاقل ويكون كمن يعرف طريقا ممهدا مضيا فيتركه ويمشى فى طريق وعر مظلم فإذا ما صادفه آخر على مثل حاله دله إلى الطريق السالك المضى ونصح له أن لا يمشى معه وظل هو يتخبط على غير هدى (استعينوا) فى معالجة أنفسكم من هذا المرض العقلى ، أو النقص الخلقى (بالصبر) على مقاومة النفس الأمارة بعدم الرضوخ للحق

أو إلى شريعة غير شريعتكم الأولى (والصلاة) التي هي عماد شريعة هذا النبي الكريم إذ هي كفيلة بتهديب النفس وإصلاحها وإخضاعها لباريها (وإنها لكبيرة) في ظاهرها على المتكبرين الأنانيين بالنظر لما فيها من تمام الذلة والخضوع بالسجود بين يدي الله (إلا على الخاشعين) المقربين لله بتوحيد الربوبية الموصوفين بأنهم (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) يتوقعون الموت في كل لحظة لأنهم يعرفون أنه لا مفر منه وأن مردهم إلى الله، ومن كان كذلك لا بد وأن يخشع ويتوب فيسارع إلى الصلوات في أوقاتها ابتغاء رضوان الله باعتباره هو الخالق لهم (وأنهم إليه راجعون) في يوم القيامة إلى مثل الحياة التي كان عليها آدم قبل هبوطه إلى الأرض، ويودون أن يكونوا على ما كان عليه آدم من التوبة ورجاء الرحمة والغفران .

### المفردى :

تنبه هذه الآيات إلى أنه لا ينبغي لمن يعظ الناس أن يكون على حال تغاير ما يعظ به لأن هذا دليل على مرض في النفس أو نقص في العقل أو ضعف في الخلق علاجه مقاومة النفس وترويضها بالإقدام على الطاعة وذكر الموت والتفكير في اليوم الآخر .

### الحكم :

وجوب الاهتمام بهدى القراءان وزجر النفس عن أهوائها .

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ كَرَّمُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي  
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ  
نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ،  
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) .

اللفظ :

(فضلتكم) صيرتكم أكثر فضلا من سواكم (العالمين) الخلق كلهم  
(اتقوا) خافوا وحاذروا (تجزى) تكافىء (نفس) ذات الإنسان  
(يقبل) يصدق (يؤخذ) يتناول (عدل) النظير، المماثل ، الفداء  
(ينصرون) يعاونون على دفع ضرر أو رد عدو .

المعنى :

بعد أن ذكر الله بني إسرائيل بنعمه وألزمهم بأوامره أخذ يذكرهم  
في هذه الآيات بالنعم التي لحقت بأبائهم من قبل والتي لولاها لما  
ظلوا على قيد الحياة حتى اليوم ، إذ النعمة على الآباء نعمة على الأبناء  
وقد بدأ سبحانه وتعالى بذكر موضع الكرامة فيهم ، وهو تفضيلهم على  
الناس ليعملوا على الاحتفاظ بتلك الأفضلية ويترفعوا عن كل ما يجلب  
لهم الذلة والهوان حيث قال (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت  
عليكم) والتي سأسرد لكم طرفا منها فيما بعد (و) أهمها (أني فضلتم على



العالمين) فقد جعلت منكم عدة أنبياء من دون سائر الأمم، فمن الواجب عليكم أن تقدروا الى هذه المنة وتبالغوا في إرضائى (واتقوا) أى وإن لم تكن طاعتكم لى لسابق نعمتى عليكم فلتكن للخوف من عذابى المقبل، فإن هناك (يوما) لا بد منه (لا تجزى) فيه (نفس عن نفس شيئا) فبكل واحد مشغول بنفسه ولا قدرة ولا سبيل له إلى معاونة غيره (ولا يقبل منها شفاعة) لأنه لا سلطان لأحد فى ذلك اليوم إلا الله وحده والكل يشعر بقصوره عن أداء حق مولاه (ولا يؤخذ منها عدل) أى ليس لديه ما يفتدى به من العذاب يومئذ والجميع فقراء معدمون وليس هناك مادة من درهم أو دينار (ولاهم ينصرون) لأنه لا ناصر ولا قادر سواه سبحانه وتعالى .

### المغزى :

تدل هاتان الآيتان على أن الله يحاسب العباد فى الآخرة على النعم التى أغدقها عليهم فى الدنيا فعلى العاقل أن يحاسب نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسب فىذكر نعم الله عليه ليوفىها حقها من الشكر وشكر النعم هو الاعتراف بها لمسديها بالبذل والإحسان .

### الحكم :

وجوب تذكر النعم ووجوب التفكر فيما بعد الموت .

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
 يَدْبَجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ  
 رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)

اللفظ :

(نجينا) خلصنا (فرعون) من ولى مصر فى العهد الخالى (يسومونكم) يكلفونكم، التكليف : التعذيب (سوء) شر (العذاب) كل ما يشق على الإنسان (يدبجون) يبالغون فى الذبح (أبناءكم) الذكور من النسل (يستحيون) يستبقونهم من الذبح (بلاء) اختبار يكون بالخير والشر (عظيم) كبير .

المعنى :

لقد ثنى الله بذكر نعمة أخرى له على بنى إسرائيل وهى إنقاذ آبائهم من عذاب آل فرعون ليعرفهم مقدار فضله وعقوبته معا حيث قال (و) اذكروا (إذ نجيناكم من آل فرعون) الذين كانوا (يسومونكم سوء العذاب) مما يسوءكم ويذلكم ، يوم كانوا (يدبجون أبناءكم) لقطع نسلكم وإبادتكم (ويستحيون نساءكم) الضعفاء للتشكيل بهن وامتهانهن ولولا هذا لانقطعت أصولكم وباد نسلكم وذهب ربحكم (وفى ذلكم) أى قتل الأبناء واستبقاء النساء (بلاء) واختبار (من ربكم عظيم) ليعلم مبلغ تقديركم لهذه المنة، وشكركم على النعمة بعد الخلاص من هذا الموقف الرهيب .

## المفردى :

تنبه هذه الآية إلى أن ما يصيب الإنسان من المصائب والنكبات أو الخلاص منها ما هو في الواقع إلا اختبار من الله للوقوف على مقدار صبره على بلائه ومبلغ تقديره لنعمائه .

## الحكم :

وجوب الصبر على البلاء ، وندب ترقب الفرج عند الشدة .

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ  
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ  
الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) .

## اللفظ :

(فرقنا) وقرىء (فرقنا) بتشديد الراء فصلنا (أنجيناكم) وقرىء (أنجيتكم) أنقذتكم (أغرقنا) بالغنا في إنزالهم في الماء (تنظرون) تبصرون (واعدنا) وقرىء (واعدنا) بدون ألف أملنا (اتخذتم) صيرتم وجعلتم (العجل) ولد البقر (ظالم) واضع الشيء في غير محله (عفا) صفح ، وترك العقوبة (تشكرون) تثنون (آتيننا) أعطينا (الكتاب)

التوراة (الفرقان) البرهان، وكل ما فرق بين الحق والباطل. (تهتدون) تصلون إلى طريق الحق والاستقامة .

المعنى :

لقد والى الله تعداد نعمه على بنى إسرائيل فقال (و) اذكروا (إذ فرقنا بكم) بسببكم (البحر) حتى صار لكم طريقا واضحا وسبيلا سالكا تسرون فيه وهذه معجزة خاصة لنبيكم ومنة عظمى من الله عليكم في الساعة التي أدرككم فيها آل فرعون ولم يكن أمامكم غير البحر المنذر بالغرق (فأنجيناكم) من هلاك مؤكد بإدراكهم لكم أو غرقكم في البحر وزدنا في المنة عليكم إذ نكلنا بأعدائكم (وأغرقنا آل فرعون) الذين كانوا يهددون مؤخرتكم بأن أعدنا الطريق التي فرقناها بسببكم إلى ما كانت عليه فصارت بحرا غرق فيه آل فرعون وبذلك قضينا على أعدائكم وحسمنا مادة الخوف من قلوبكم حيث أيقنتم بأنه لا سبيل إلى تغلبهم عليكم بعد اليوم، كل هذا قد وقع (وأنتم تنظرون) بأعينكم وتللسون نعم الله عليكم حيث أجرى خوارق العادات في سبيل نجاتكم مما لا يترك محلا للشك والارتياب في قدرة الخالق وصدق موسى في الرسالة، وعلى الرغم من هذا فإنكم لم تؤمنوا بالله حق الإيمان ولم تصدقوا موسى في أقواله فأهلناكم ووالينا عليكم المنن والإمدادات كما يتجلى ذلك من الموقف التالي (و) ذلك (إذ واعدنا موسى) أن يأتي إلى الطور ويظل به (أربعين ليلة) لنزل عليه كتابا لكم تتبعونه فلم تنتظروا عودته إليكم بل قتم إلى حليكم فخرقتموها (ثم اتخذتم) منها (العجل) ليكون (من بعده) إلهًا تعبدونه (وأنتم ظالمون) بعبادتكم للعجل بعد ما ثبتت لكم ألوهية ربكم الذي نجاكم من الغرق ومن آل فرعون (ثم عفونا عنكم

من بعد ذلك) العناد والكفر بالله وعبادة غيره (لعلكم تشكرون) الله على منة العفو التي هي من أجل النعم المحسوبة عليكم . والشكر على العفو عنوان على الاعتراف بالذنب وإذعان بالحاجة إلى الغفران (و) اذكروا (إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) بعد ذلك هاديا لكم إلى الصراط السوي (لعلكم تهتدون) بالتوراة إلى ما يرضى الله ، وبالفرقان من المعجزات إلى معرفة قدرة الله والإيمان به وتأيد نبيه .

المفردى :

تلقى هذه الآيات دروسا إرشادية تتلخص فيما يأتي :-

(١) أن من كان في موقف حرج وهياً الله له طريق الخلاص منه أو كان له أعداء فنصره الله عليهم فلا بد له من تقدير هذه النعمة لربه وشكرانه عليها .

(٢) أن التعجل في اتباع كل ناعق من غير تدبر مما يؤدي إلى الهلاك .

(٣) أن خير الهدى ما جاء من عند الله، وخير الأدلة على عظمة الله ما يلمسه الإنسان بنفسه من آياته .

الحكم :

وجوب معرفة الله معرفة تامة تصون المرء من الوقوع في الشبهات .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ  
بَاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ، فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ  
خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمِ (٥٤) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ  
 جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ  
 مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ  
 الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ  
 وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) .

## اللفظ :

(ظلمتم أنفسكم) جرتم عليها (توبوا) ارجعوا عن معصيتكم  
 (بارئكم) من أبداع خلقكم (اقتلوا) أميتوا (أنفسكم) النفس القوة  
 المهيمنة في الإنسان (تاب عليكم) غفر لكم (تواب) من يقبل التوبة  
 ويهب الغفران (الرحيم) الثابت له صفة الرحمة (نؤمن لك) ثق  
 بنبوتك (نرى) ننظر بالعين (جهرة) علانية (أخذتكم) منعتكم  
 (الصاعقة) سهام نارية تسقط من السماء في رعد شديد (تنظرون)  
 تنتظرون (بعثناكم) أيقظناكم (موت) مفارقة الروح الجسد أو وقوف  
 حركة القلب (ظللنا) جعلنا ظلا (الغمام) السحاب (أنزلناه) جعلناه  
 نازلا (المن) مادة مائية تتعقد على بعض الشجر عسلا وتجف جفاف  
 الصمغ (السلوى) طائر يعرف بالسمان (طييات) خلاف الخبيث  
 (رزقناكم) أوصلنا لكم الرزق (ظلمونا) الظلم الجور وانتقاص الحق .

## المعنى :

بعد أن ذكر الله بنى إسرائيل بنعمه عليهم أخذ يذكرهم أيضا بما كان

من معاتبة نبيهم لهم على ما بدر منهم وما كان من إجابتهم على ذلك حيث قال (و) اذكروا (إذ قال موسى لقومه) وهم آباؤكم (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) إلهها عبدتموه من دون الله فقالوا وماذا نفعل وقد فرط منا ما فرط قال (فتوبوا إلى بارئكم) قالوا وكيف تكون التوبة؟ قال (فاقتلوا أنفسكم) أي أكسروا حديتها وأسلموها إلى أنفذ فيها أمر ربكم (ذلكم) الاستسلام وعدم المعارضة (خير لكم عند بارئكم) فلما خضعتم واستسلمتم لأمر ربكم رضئ عنكم (فتاب عليكم) مما اقترعتم من الذنوب (إنه هو التواب) الذي يقبل التوبة من عباده (الرحيم) الذي لا يقصد التنكيل بكم وسلبكم الحياة وإنما يريد لكم الهداية والصلاح (و) لكنه سرعان ما تبدل حالكم ورجعتم إلى جحودكم وعنادكم (إذ قلتم) لنبيكم (يا موسى لن تؤمن) برسالتك ونذعن (لك) بقلوبنا (حتى نرى الله جهرة) كما نراك عيانا أمامنا (فأخذتكم الساعة) أثر قولكم هذا (وأتم تنظرون) في الساعة التي كنتم فيها تفكرون في إمكان إجابة طلبكم وحصول هذه الرؤية لكم (ثم بعثناكم) بطريقة خارقة للعادة (من بعد موتكم) خوفا من تأثير الساعة (لعلكم) تتوبون إلى الله من أمثال هذه المعاندات و (تشكرون) بعثه لكم من جديد بعد أن أصبحتم في عداد الموتى وقد والينا عليكم أيضا من النعم الجسام مالا تستطيعون نكرانه (وظللنا عليكم الغمام) في أوقات الحرارة (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) بدلا من النبات والبقول في أيام القحط وقلنا لكم (كلوا من طيبات ما رزقناكم) واشكروا هذه النعم وقدروها حق

قدرها . ثم خاطب الله نبيه بعد هذا بقوله ( وما ظلمونا ) أولئك القوم بكفرهم وجحودهم ( ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) بتعريضها للرزايا واستحقاقها للعذاب الأليم .

### المغزى :

تنبه هذه الآيات إلى قواعد عامة جعلها الله سنة من سنته في خلقه وهي تلخص فيما يأتي : —

(١) التوبة تكفر كافة الذنوب وتقبل بقهر النفس وإخضاعها لله ورجاء الغفران والرحمة منه .

(٢) رؤية الله في الحياة الدنيا غير ممكنة والمطالبة بها تعنت غير مقبول يؤدي إلى أسوأ النقم .

(٣) كفر النعم وعدم الاعتداد بها ظلم يؤدي إلى سلبها .

### الحكم :

يجب على المؤمن الإقلاع عن المعاصي ، والتوبة إلى الله ، والتأدب في الطلب من الله وشكره على ما يجريه عليه سبحانه من النعم .

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) .



اللفظ :

( القرية ) الضيعة ( شتم ) أردتم ( رغدا ) طيبا ( الباب ) المدخل ( سجدا ) خاضعين ( حطة ) اسم من استحط وزره بمعنى سأله أن يحطه عنه ( تغفر ) نعف وقرى يغفر بالياء وتغفر بالتاء ( خطاياكم ) ذنوبكم ( نزيد ) نمنى ( المحسن ) مسدى الإحسان ( بدل ) غير ( الذين ظلموا ) الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ( قولا ) كلاما ( رجزا ) عذابا وقرى ( رجزا ) بضم الراء ( يفسقون ) يخرجون عن طريق الحق والصلاح

المعنى :

وكان من نعم الله التي عددها على بني إسرائيل أن ذكرهم بما قد تفضل به عليهم من قبل تمكينهم من الدخول إلى الأرض المقدسة التي كانوا يحبونها - ولعائها بيت المقدس - منتصرين فائزين ، بعد نكولهم عن الجهاد في سبيلها ، فقدر عليهم البقاء في التيه بضع سنوات عقوبة لهم ثم عفا عنهم ، ويسر لهم سبيل الوصول إليها ، وأمرهم بدخولها شاكرين خاضعين مستغفرين حيث قال ( و ) اذكروا يا بني إسرائيل ( إذ قاتنا ) لآبائكم ( ادخلوا هذه القرية ) التي كنتم تحنون إليها ( فكلوا منها حيث شتمتم رغدا ) ولكن بشرط أن تعترفوا بأنفسكم بأنه لا فضل لكم في هذا الدخول بل هو من محض كرم الله وإنعامه عليكم ، فإذا شارفتم على المدينة فاحمدوه سبحانه على ذلك ( وادخلوا الباب سجدا ) خاضعين خاشعين من غير زهو ولا خيلاء ( وقولوا ) كلمة سهلة موجزة وهي ( حطة ) تجاوز عما فرط منا من التقاعس عن الجهاد الذي فرضته علينا في سبيل دخولنا في الأرض المقدسة ( تغفر لكم خطاياكم ) وكل ما صدر

منكم (وسنزيد) في ثواب (المحسنين) الذين لم يشتركوأ في التراخي والتقاعد عن الجهاد ساعة الأمر وإنما أخذوا بجرمكم وقاسوا ما قاسوه بسبيكم (فبدل الذين ظلموا) وهم الذين نكلوا من قبل وقالوا - إن فيها قوما جبارين - (قولا غير الذي قيل لهم) وهو « حطة » استخفافا بها واستهتارا ولم يراعوا نص ما أمروا به بل جاءوا بكلام حسبوه أبلغ من كلام الله (فأنزلنا على الذين ظلموا) ممن ذكرنا (رجزا من السماء) جزاء لهم (بما كانوا يفسقون) فعاجلناهم بالعذاب نتيجة فسقهم وعصيانهم المتكرر وتبديلهم للنص الذي أمروا به من عند الله على بساطته .

المفردى :

تعلمنا هاتان الآيتان أنه لا اجتهاد مع النص ، وليس من الطاعة التصرف فيه بتغيير وتبديل فقد كان استخفاف بنى إسرائيل بقول ( حطة ) وتبديلهم لها سبباً في حلول الرجز فيهم .

الحكم :

لقد استنتج العلماء من قوله تعالى ( فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ) أن تبديل الأقوال المنصوص عليها لا يجوز ، والتحقق أن الأقوال المنصوص عليها فى الشريعة لا يخلو إما أن يقع التعبد بلفظها أو بمعناها، فإن حصل التعبد بلفظها فلا يجوز تبديلها، وإن حصل التعبد بمعناها جاز تبديلها بما يودى ذلك المعنى، ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه ومع كل فلا يجوز التبديل إلا بالاجتهاد .

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ، فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ  
فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ، كُلُوا  
وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ، وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ (٦٠) .

## اللفظ :

(استسقى) طاب السقيا من الله (انفجرت) تفتحت فيه منافذ  
يجرى منها الماء (عشرة) وقرى بكسر الشين وفتحها (عينا) ينبوع الماء  
(مشربهم) موضع شربهم (تعثوا) تبالغوا في الفساد (مفسدين)  
مخربين ضد المصلحين .

## المعنى :

وكان من نعم الله العظمى التي عددها على بني إسرائيل أن ذكرهم بما  
كانوا عليه من ظمأ ونصب، وما أمدهم الله به في تلك الأثناء من السقيا  
وتنظيمها بمعجزات باهرات حيث قال (و) اذكروا يا بني إسرائيل  
(إذ استسقى موسى) في ساعة الجذب والظمأ (لقومه) آبائكم (فقلنا)  
له (اضرب بعصاك) التي تحولت من قبل حية تسعى أمام فرعون وقومه  
(الحجر) الذي أمامك في هذا المكان المجدب (فانفجرت منه) فما كاد  
موسى ينفذ ما أمره به مولاه من ضرب الحجر بالعصا حتى انفجرت  
منه (اثنتا عشرة عينا) بعدد الأسباط الاثني عشر لثلاثا يتنازعوا عليها  
ويتقاتلوا دونها فاقبلوا عليها يسقون (قد علم كل أناس مشربهم) وقلنا  
لهم (كلوا) من الزراعة التي كادت تتلف ظمأ (واشربوا) من هذه  
العيون المتدفقة فانها (من رزق الله) الذي تفضل به عليكم فلا تكفروا

بهذه النعم ولا تقابلوها بالجحود ( ولا تعثوا في الأرض مفسدين )  
فهذا يعد منكم كفرانا للنعم التي توالى عليكم .

المغزى :

تنبه هذه الآية إلى أن احتباس الغيث عن الناس إنما هو بقدره الله وهو وحده الذى يستطيع أن يرويهما إذا شاء إما عن طريق السماء بالغيث أو بما ينبع من الأرض ، بل إنه سبحانه وتعالى إذا أراد فجر المياه من الحجر الصلد وأعطى الناس كفايتهم .

الحكم :

يسن شرعا طلب السقيا من الله عند الجذب واحتباس الغيث لأن ذلك وسيلة إغداق النعم على العباد .

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ، قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) .

## اللفظ :

( نصبر ) نثبت ( طعام ) ما يؤكل ( ادع ) اطلب ( يخرج ) يظهر ( بقل ) ما ينبت من البذر ولاساق له كالكرفس والنعناع ( قثائها ) بكسر القاف وقرى بضمها : نوع من النبات يشبه الخيار تسميه العامة «القتة» ( فومها ) يطلق على الثوم وسائر الحبوب ، وقرأ ابن عباس « وثومها » وهذا المعنى أقرب لذكر البصل بعده ( عدسها ) هو حب معروف ( بصلها ) النبات المعروف يستعمل في كثير من الأطعمة ( استبدلون ) تتخذون منه بدلا ، وفي قراءة ( تبدلون ) بإسكان الباء ( أدنى ) اسم تفضيل من الدنيا وقرى ( أدنا ) بالهمزة من الدناءة ( خير ) اسم تفضيل مخفف أخير أى أفضل الأمرين ( اهبطوا ) انزلوا ( مصرا ) مدينة ( سأتم ) طلبتم ( ضربت ) قدرت ( الذلة ) الهوان ضد العزة ( المسكنة ) الفقر والضعف ( باءوا ) رجعوا ( بغضب ) ببعض ( يكفرون ) يحدون ( آيات ) علامات وأدلة ( يقتلون ) يميتون ( النبين ) المخبرين عن الغيب بوحي أو إلهام من الله ( الحق ) العدل ( عصوا ) خالفوا ( يعتدون ) يظلمون ، يتجاوزون حقوق الناس .

## المعنى :

وكان من نعم الله التي عددها على بني إسرائيل أن ذكرهم بما كان منهم من كفرانهم للنعم وسأمتهم من الرزق الميسر لهم واستجابته لطلبهم حيث قال ( و ) اذكروا يا بني إسرائيل ( إذ قلتم ) يوم أن أنزل عليكم المنّ والسلوى ( ياموسى لن نصبر على ) مانحن عليه من ( طعام واحد ) ميسور هو المنّ والسلوى ( فادع لنا ربك ) أن ( يخرج لنا ) بدلا من

ذلك ( مما تذب الأَرْض ) عن طريق الحرث والزرع ( من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها ) إلى غير ذلك مما ألفناه وتعودنا زراعته في مصر يوم كنا فيها ( قال ) ويلكم من جاحدين للإحسان غير مقدرين للنعمة ( أتستبدلون الذي هو أدنى ) من نبات الأَرْض الذي لا يحصل إلا بعد جهد ونصب ( بالذي هو خير ) وهو المن والسلوى اللذين أنعم الله بهما عليكم من غير عناء أو مشقة : أولهما من محصول السماء ، والثاني من ذى الروح وهو أفضل من الجماد ، وإذا أبيتُم إلا الاصرار على طلبكم فاخرجوا من الأَرْض المقدسة و ( اهبطوا مصرا ) تلك البلد التي ألقتموها من قبل ( فإن لكم ) فيها ( ما سألتُم ) من البقول وغيرها ( وضربت عليهم الذلة ) كتب عليهم الذل لأن الله أراد عزهم بإسكانهم الأَرْض المقدسة فأبوا إلا الخو إلى المكان الذي كانوا أذلاء فيه ( والمسكنة ) كتب عليهم أن يظهروا بمظهر الفقر والمتربة لأن الله قد أعذق عليهم نعمه من غير كد فأبوا إلا أن يحصلوا عليه بالحرث والزرع والتعب والنصب ( وباءوا بغضب من الله ) لسبب آخر غير هذا ( ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ) التي تتلى عليهم ومعجزاته التي تتجلى أمام أنظارهم ( ويقتلون النبيين ) الذين يدعونهم إلى الهداية والرجوع عن العناد والضلال ( بغير الحق ) مع عليهم في أنفسهم بأنهم أنبياء الله حقا ، وقد استحقوا ( ذلك ) أى ما أصابهم من ذلة ومسكنة ( بما عصوا ) ربهم ، والعصيان من شأنه إزالة النعم ، واستحقوا حلول الغضب بهم لأنهم جحدوا نعمة الله عليهم وكفروا بآياته ( وكانوا يعتدون ) على عباد الله وفي مقدمتهم أنبياءؤه .

المغزى :

تنبه هذه الآية إلى القواعد الاجتماعية الآتية :

- (١) كفران النعم يؤدي إلى الفقر والمسكنة .
- (٢) محاربة الحق تؤدي إلى المذلة والهوان .
- (٣) الإمعان في المعاصي ومبارزة الله بالعداء يؤدي إلى حلول النقم وكثرة المحن .

الحكم :

يجب على المرء أن لا يكفر بنعم الله وأن لا يتبرم ويعلم السخط مما يقضى به الله .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرِيَّ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) .

اللفظ :

(آمنوا) اطمأنوا ووثقوا والمراد بهم المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (هادوا) تابوا ورجعوا إلى الله والمراد بهم بنو إسرائيل الذين رجعوا عن عبادة العجل ، وقرى ( هادوا ) بفتح الدال وإسكان الواو (النصارى) أنصار المسيح ( الصابئين ) الخارجين من دين لآخر وقرى « الصابيين » من غير همزة وقرى « بإبدال الهمزة ياء أى بيايين ( اليوم الآخر) يوم القيامة (عمل) صنع (صالحا) عملا مفيدا غير فاسد (أجر) الثواب (خوف) فزع (يحزنون) يتوجعون من انفعال نفساني .

## المعنى :

بعد أن عدد الله نعمه على بني إسرائيل وذكرهم بما كان منهم من السيئات وما حاق بهم من العذاب وما ضرب عليهم من المذلة ، أراد سبحانه وتعالى أن يفهمهم بأنه فضلا عن كل ما حدث فإنه سوف لا يؤاخذ إلا المجرم بإجرامه والمقترب بذنبه ، فمن كان منهم مؤمنا بالله ورسله واليوم الآخر عاملا على إرضائه بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه فلا حرج عليه ولذلك قال ( إن الذين آمنوا ) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ( والذين هادوا ) من أتباع موسى في عهده ( والنصارى ) من أتباع عيسى في عهده ( والصابئين ) ممن لم يكن له دين خاص بل منهم من يعبد الملائكة أو النجوم أو سواهما ( من آمن ) وثق حقيقة بقلبه اليوم ( بالله ) بأنه واحد وأخلص له العبادة ولم يشرك به أحدا من خلقه ( واليوم الآخر ) أى وآمن بصحة ما أخبر به الرسل عنه ( وعمل ) عملا ( صالحا ) خالصا من كل الشوائب والرياء موافقا لما أشار به الرسل يبتغى به وجه الله ( فلهم أجرهم ) على ذلك ، لأن الإيمان بالله موجب لحبه والخوف منه ودعائه فى السراء والضراء ، ولأن الإيمان باليوم الآخر دليل على الإيمان بالرسل الذين جاءوا بأخباره وختامهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما يوجب اتباعهم والسير على منهاجهم والتمسك بحقيقة أديانهم ، وهذا هو العمل الصالح الذى يستجلب رضاء الله فلا غرو إذا ما وجد فاعلوه أجرهم ( عند ربهم ) فى يوم الحساب ( ولا خوف عليهم ) فى الدنيا من عذاب الله ونقمه ، ما داموا على هذه الحالة بناء على وعد الله السابق لهم ( ولا هم يحزنون ) فى الآخرة على شىء حرموا منه أو لم يجدوه .



المغزى :

تدل هذه الآية على أنه ليس مجرد الاتهام لدين من الأديان يكون موجبا لرضاء الله ، اللهم إلا أن يؤمنوا بالله ورسله واليوم الآخر ويصلحوا أعمالهم .

الحكم :

لا يجوز الحكم على أحد بعينه بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، فإن التخصيص موكول لأمر الله العليم بحقيقة مافي القلوب والمطلع على جميع الأعمال ومبلغ خلوصها لله ؛ وقد نص العلماء على أن حكم هذه الآية منسوخ بقوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ، وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٢) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) .

اللفظ :

(أخذنا) تناولنا (ميثاق) العهد (رفعنا) أعطينا (الطور) الجبل (آتينا) أعطينا (بقوة) بشدة (اذكروا) احفظوا في أذهانكم (تتقون) تخافون الله (توليتهم) أعرضتم وتركتم (فضل) الابتداء بالإحسان بلا علة (رحمة) رقة وعطف تقتضى المغفرة (الخاسرين) الضالين الهالكين .

المعنى :

بعد أن بين الله في الآية السابقة لبني إسرائيل أن الإيمان الكامل والعمل الصالح هما سبيل النجاة ، أراد أن يعبر لهم عن مبلغ حله وكرمه وفضله ورحمته . فذكرهم بأنه سبحانه وتعالى لم يكتف بمجرد إنذارهم والتلويح لهم بخوارق العادات مع ترك الخيار لهم في قبول الهداية أو عدمها ، بل إنه أكرههم فعلا على الرضوخ لأوامره بقصد هدايتهم حيث قال (و) اذكروا ( إذ أخذنا ميثاقكم ) بوجوب الانقياد والطاعة وما اكتفينا بهذا بإقامة الحججة عليكم فحسب بل تفضلنا ( ورفعنا فوقكم الطور ) تهديدا لكم شأن السيد الذي يحمل على عبده العصا للطاعة والانقياد وقلنا لكم ( خذوا ما آتيناكم ) من الكتاب ( بقوة ) وإلا ألقيناه عليكم وأهلكناكم أجمعين ( واذكروا ما فيه ) من أوامر وتعاليم وآيات بينات لتفقهوها جيدا فإنها كفيلة بإخضاع نفوسكم لله واتباع دينه الحق ( لعلمكم تقون ) الله منزل ذلك الكتاب الذي رضختم لقبوله ساعة التهديد ، إذ أن ما يفعل بالإكراه يعود اختياريا بالتعود ( ثم توليتم من بعد ذلك ) عن الطاعة وتناسيتم الجبل الذي كاد أن ينقض عليكم فأشفقنا بكم وأبقينا عليكم ؛ وكان لنا أن نأتى بالجبل مرة أخرى ونوقعه عليكم فعلا وأنتم لا تشعرون ( فلو لا فضل الله عليكم ) برفع الجبل فوقكم حتى تبتم ( ورحمته ) بامهالكم عندما عصيتم ( لكنتم من الخاسرين ) الذين سلبوا نعيم الدنيا وخلدوا في نار جهنم في الآخرة .

المعنى :

تدل هاتان الآيتان على ما يأتي :-

(١) الإكراه على اتباع الدين كان مشروعا في بني إسرائيل .

- (٢) أن مجرد الإيمان بالكتاب لا يكفي بل لابد من العمل بمقتضاه .  
 (٣) أن سلاح القوة والإرهاب وإن عظم لا يضمن تمام الانقياد .

الحكم :

وجوب التفكير والتدبير، والإفراز بنعم الله التي أسداها لبي الإنسان،  
 والتوبة إليه والعمل بما يرضاه .

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ  
 كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا  
 وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) .

اللفظ :

(علمتم) عرقتم وتيقنتم (اعتدوا) ظللوا (السبت) يوم في الأسبوع  
 بين الجمعة والأحد (قلنا) قضينا (كونوا) صيروا (قردة) الحيوان  
 المعروف عند العامة ، « بالسعدان » (خاسئين) مبعدين مطرودين  
 (جعلناها) صيرناها (نكالا) عظة وعبرة للغير (خلفها) وراءها  
 (موعظة) تذكرة تحمل على الإصلاح (المتقين) مأخوذ من الوقاية،  
 وهي حفظ الشيء مما يؤذيه .

المعنى :

بعد أن تفضل الله على بني إسرائيل ببيان مبلغ حله وفضله ورحمته  
 نبيهم إلى أن ما حاق بهم من الأحداث وما شهدوه من العبر ما هو  
 إلا نتيجة تلبسهم بأنواع خاصة من المعاصي ليأخذوا لهم من ذلك درسا

يرشدكم إلى أن السر فيما يجدونه في أنفسهم من ذلة وهوان هو تعمدهم التصنع والتدليس على الله حيث قال (ولقد علمتم) بأمر (الذين اعتدوا منكم) باحتيالهم على الله وحبسهم الحيتان (في) يوم (السبت) وقد نهوا عن الصيد فيه ثم تصيدوها بعد مضي ذلك اليوم (فقلنا لهم كونوا قردة) فكان جزاؤهم على ذلك الاحتيال أن كتبنا عليهم السقوط عن درجة الكمال الإنساني إلى مستوى القردة الذين فقدوا صفات النبيل والشهامة، وطبعوا على الشره في المادة والانغماس في الشهوات البهيمية فجردوا عن عواطفهم الإنسانية فأنزلهم منزلتهم، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد أنه قال: ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالجمار في قوله تعالى «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا». وقوله تعالى أيضا «وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت». وقال الخافظ ابن كثير في تفسيره والصحيح أن المسخ معنوي صوري اعتباري (خاسئين) كونوا بحسب سنة الله في الطبع والأخلاق كالقردة المستذلة المطرودة من حضرة الناس فلا يراهم كرام الناس أهلا لمجالستهم ومعاملتهم (جعلناها) هذه العقوبة (نكالا) عبرة لكل من يتخذ الخيل وسيلة للافلات من أمر ربه ويحسب أن الاحتيال على الله قد يكون وسيلة للنجاة من عقابه (لما بين يديها وما خلفها) لمن وقعت الحادثة في عهدهم ومن بعدهم إلى ما شاء الله (وموعظة للبتقين) الذين يحافظون على أنفسهم من الوقوع فيما يجلب عليها الذلة والهوان.

### المغزى :

تنبه هاتان الآيتان إلى سنة من سنن الحياة الكونية هي : —  
أن اتخاذ الخيل للخلاص من ربة التكليف من شأنه أن يفقد

الإنسان كثيرا من خلاله الحميدة وبصيره عرضة للاحتقار ونبت  
المجتمع له .

الوكم :

حرمة الاحتيال بجميع ألوانه وأنواعه .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً  
قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُومًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا  
أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ مُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ؟ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ  
وَلَا بَكْرٌ، عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ، فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا أَدْعُ  
لَنَا رَبَّكَ مُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهُنَّ؟ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ  
لَوْهُنَّ، تَسْرُ النَّاطِرِينَ (٦٩) قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ مُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ؟  
إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ أَهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ، مُسَمَّمَةٌ  
لَأَشِيَةٍ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا  
يَفْعَلُونَ (٧١)

اللفظ :

(يأمركم) يفرض عليكم (تذبحوا) تنحروا (بقرة) تطلق على

المهارة والآى والوعل والظباء الكبيرة المجوفة القرون ( تتخذنا ) تجعلنا  
 (هزوا) سخرية، وقرى « هزءا » بالهمزة وسكون الزاى، وقرى بالهمزة  
 مع الزاى مضمومة ( أعود ) أتحصن ( الجاهلين ) الحمقى ( ادع ) اطلب  
 ( يبين ) يوضح ( فارض ) طاعنة فى السن ( بكر ) فتية ( عوان ) نصف  
 بين الصغيرة والمسنة ( افعلوا ) اعملوا ( صفراء ) لون الذهب أو الزعفران  
 ( فاقع ) صاف أو شديد الصفرة ( تسر ) تعجب وتفرح ( الناظرين )  
 كل ذى بصر وبصيرة ( البقر ) وقرى ( الباقر ) اسم لجماعة البقر  
 ( تشابه ) التبس ( مهتدون ) عارفون ( ذلول ) سهل الانقياد وقرى  
 بفتح اللام ( تثير ) تهيج ( تسقى ) تستعمل للسقيا وقرى بضم التاء  
 ( الحرث ) الأرض التى تستنبت بالبذر والنوى ، ( مسلمة ) بريئة من  
 العيب ( شية ) علامة ( الآن ) الوقت الذى أنت فيه وقرى ( آلآن )  
 و ( الآن ) بجذف الهمزة ( الحق ) اليقين ( كادوا ) قاربوا الفعل ولم يفعلوا-

المعنى :

ثم نبه الله بنى إسرائيل إلى أن ما أصابهم فى الحياة من التشديد  
 والحرج إنما هو نتيجة ترددهم فى تقبل الأحكام الإلهية رغبة فى التخلص  
 من تنفيذ أوامر الله حيث قال ( و ) اذكروا ( إذ قال موسى لقومه )  
 يوما ( إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ) من أى أنواع البقر لغاية  
 يعلمها الله وليمتحن بذلك مبلغ طاعتهم ومبادرتهم إلى امتثال أوامره  
 ( قالوا ) لموسى جوابا على ذلك ( أتخذنا هزوا ) فأى ثمرة وأى معنى  
 ترمى إليه من ذبح البقرة ( قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين )  
 الذين يتكلمون بغير علم أو الذين لا يعنون ما ينطقون ، وإنما أنا أبلغكم  
 أمر ربكم ( قالوا ) إن كان الأمر كما تقول وهذه إرادة الله ( أدع لنا  
 ربك يبين لنا ما هى ) تلك البقرة صغيرة أم مسنة ( قال إنه يقول إنها

بقرة لا فارض ولا بكر، عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون) فبادروا بذلك فإن للتأخير آفات وفي التردد سينات، فلم يقتنعوا بذلك أيضا، وأصروا على تقاعسهم عن تنفيذ أمر ربهم واتمسوا لذلك الأعذار وأخذوا يخترعون له الأسئلة حيث (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لوئنا) لأننا نخشى أن يكون للبقرة المطلوبة لون خاص فإذا ذبحناها على خلافه نخسر ثمنها ولا تجدينا فتيلاً (قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لوئنا، تسر الناظرين) والبقر بمثل هذا اللون وتلك السن كثير فأبها بذبحتم أجزأكم، فلم يقتنعوا بذلك أيضا بل استمروا في عنادهم وتقاعسهم ثم (قالوا) لا بد وأن يكون للبقرة المطلوبة علامة فارقة تميزها عن غيرها (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) تلك العلامة الفارقة (إن البقر تشابه علينا) وهو مبتذل في الأسواق ولم تتصور بعد الحكمة أو الغاية من ذبح البقرة. لذلك فإننا نعتقد أن الله لم يأمرنا بذبح البقرة إلا وقد أراد بقرة خاصة بعينها ذات خاصية وقيمة (وإننا إن شاء الله لمهتدون) إلى البقرة التي أمرنا بذبحها (قال) ما دمتم تأبون إلا التكليف والتعيين ولم يكن ذلك مقصودا أصلا فاعلموا (إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض) أي لم تذلل لإثارة الأرض (ولا تسقى الحرث) ولا هي من البقر التي يسقى بها الحرث (مسئلة لاشية فيها) فلا علامة فارقة فيها، وعندئذ بحثوا عنها بهذه الأوصاف فلم يجدوها مستكملة كل هذه الصفات إلا عند إنسان واحد فقط وأبى بيعها إلا بأضعاف ثمنها فأيقنوا من غلو ثمنها وتميزها عن غيرها وانطبق أوصافها أنها حقا هي المقصودة من الأمر وعندئذ (قالوا الآن جئت بالحق) لقصر نظرهم وإلإفان ما قاله من أول مرة هو الحق؛ وقد قال ابن عباس رضى الله عنه: لو ذبحوا أبة-

بقرة أرادوا لأجزاء منهم لكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم  
 «(فذبجوها) بعد أن اشتروها بثمان باهظ (وما كادوا يفعلون) لعدم  
 وجود الرغبة الكافية في نفوسهم لاتباع أوامر الله والرضوخ لأحكامه .

المغزى :

تنبه هذه الآيات إلى القواعد الآتية :-

- ١ - المبادرة بطاعة الرسول في حينها كيفما اتفق خير من  
 تأخيرها رغبة في أدائها على أحسن وجه .
- ٢ - التردد في الأمور مما يترتب عليه الإضرار والحرمان .
- ٣ - الانقياد لأوامر الله ، وأداء طاعته واجب وإن لم نقف  
 على أسرارها .

الحكم :

يجب إطاعة أوامر الله بلا تردد؛ وقد استنتج العلماء من ذكر هذه  
 القصة عن الأمم الماضية قاعدة عامة هي أن شرع من قبلنا شرع لنا على  
 شريطة أن يكون قد وصل إلينا عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم  
 لا عن طريق غيره . ومعنى هذا أن ما كان من باب الزجر والاعتبار  
 فيراد به الوعظ ، وما كان من آيات الأحكام فالمراد منه الامتثال  
 والافتداء ، كما استنتجوا أيضا من قوله تعالى : «لا فارض ولا بكر عوان  
 بين ذلك» ، قاعدة أخرى أصولية هي جواز الاجتهاد واستعمال غالب  
 الظن في الأحكام إذ لا يعلم أنها بين الفارض والبكر إلا من طريق  
 الاجتهاد .



وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَّارَآتُمْ فِيهَا ، وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ  
 تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقَلْنَا اضْرِبُوهُ بِيَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى  
 وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبُكُمْ مِنْ  
 بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ  
 لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ،  
 وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)

## اللفظ :

( قتلتم ) أتمتم ( نفسا ) إنسانا ( اذارتهم ) تدافعت : أى يننى كل واحد  
 منكم القتل عن نفسه ( مخرج ) مظهر ( تسكتمون ) تخفون ( اضربوه )  
 أصيبوه ( ببعضها ) بجزء منها ( يحيى ) يوجد الروح ( الموتى ) من فارقوا  
 الحياة ( يريكم ) يجعلكم تظنون ( آياته ) العلامات الدالة عليه ( تعقلون )  
 تميزون ( قست ) غلظت ( أشد ) أعظم غلظة ( يتفجر ) ينبع ( يشقق )  
 يتصدع وتفتح فيه فرج ( يهبط ) ينزل وقرى بضم الباء ( خشية ) خوف  
 ( غافل ) ساه ( تعملون ) تصنعون وقرى ( يعملون ) .

## الغنى :

ثم نبه الله بنى إسرائيل أيضا إلى أن ما أصابهم من قسوة القلب  
 وموت العاطفة النبيلة فى نفوسهم إنما هو نتيجة تشككهم فى علم الله  
 بحقائق الأمور ، كما يتجلى ذلك من قتلهم نفسا وإنكار كل واحد منهم

أمر القتل ومطالبة موسى بالدلالة على القاتل ، فأظهره الله من بينهم بطريقة لا تجعل محلا للشك والظن حيث أمرهم بضرب القاتل بجزء من البقرة التي لم يفهموا السر في ذبحها ففعلوا وعاد القاتل حيا وسمى لهم قاتله وهو البادى بالشكاية ، وابتلاهم الله بعد ذلك بقسوة القلب جزاء على ما بأنفسهم من شك وارتياب في علم الله سبحانه وتعالى ، وقد عبر عن ذلك بقوله ( و ) اذكروا ( إذ قتلتم نفسا ) وأردتم اختبار موسى أو رب موسى في معرفة القاتل ( فادارأتم فيها ) بأن نفى كل منكم جريمة القتل عن نفسه وقصد الاستمرار على الإنكار وهو يعلم أن لا شاهد بالقتل فلا سبيل إلى ثبوت الجريمة عليه كلية ( والله ) عالم السرائر لا يخفى عليه شيء من أمركم فهو ( مخرج ما كنتم تكتمون ) من عدم الإيمان لأن ذلك لا يخفى عليه سبحانه وتعالى ، ومن أجل هذا لم يسمح لنيبه ياخباركم باسم القاتل وما قصدتم من وراء إخفاء أمره لئلا تتوهموا أو تزعموا أن ذلك قد اتصل إلى النبي عن طريق بشر منكم فجاءكم بمعجزة لم تخطر لكم على بال حيث أمركم بذبح البقرة أولا ، ولما أن تداعيتم في موضوع القتل وأضمرتم في نفوسكم ما أخفيتم قال تعالى ( فقلنا اضربوه ) أى القاتل ( ببعض البقرة المذبوحة لئلين لكم الحكمة في ذبحها ولزريكم ) ( كذلك ) كيف يستطيع أن ( يحيي الله الموتى ) ويجعلها تنطق وتخبر بقاتلها من تلقاء نفسها ( ويريك آياته ) في القضاء على الشكوك والأوهام التي تجيش بها نفوسكم وإن لم تعلنوها بألسنتكم ( لعلمكم تعقلون ) ما نرمى إليه بذبح البقرة وحياة القاتل ونطقه أمامكم باسم القاتل من إخضاعكم لله سرا وجهرا ( ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ) ولكنه بالرغم عن كل هذا فإن قلوبكم قد قست من بعد ذلك ( فهي كالحجارة )

في فقدان حاسة التأثير والانفعال بما يرد عليها من المواعظ والآيات بمعنى أنها هبطت من درجة الإحساس الحيوى إلى درجة الجماد (أو أشد قسوة) حيث نزلوا عن درجة الحجارة أيضا، لأن هذه الحجارة على صلابتها وقسوتها قد تتأثر بالماء الرقيق فيشقها وينفذ منها (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) فيحيي الأرض وينفع النبات والحيوان (وإن منها لما يهبط من خشية الله) بتأثير الأحداث السماوية والأرضية الهائلة في الكون كالصواعق والزلازل والبراكين؛ وأما هذه القلوب التي كتب الله عليها القسوة نتيجة شكها وربها برغم ما جاءها من البينات فإنها أصبحت لا تتأثر بالحكم والنذر ولا بالعظات والعبر، ولم يعد فيها موضع للرحمة وحب الخير للإنسان (وما الله بغافل عما تعملون) يا أبناء أولئك القوم من بنى إسرائيل فاحذروا أن تسيروا سيرتهم وقد بينا لكم ما نالهم .

المفردى :

تنبه هذه الآيات إلى أن التشكك في علم الله بكل ما في الكون وما بين ثنايا القلوب من شأنه أن يورث القسوة ويميت عواطف الرحمة في الإنسان .

الحكم :

يجب الاعتقاد الجازم بالقلب أن الله بكل شيء عليم .

أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكَفَرِ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ  
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا

لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا  
 أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ  
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا  
 يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ  
 وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) .

## اللفظ :

- (تطمعون) تحرصون على نيل ما تريدون ( يؤمنوا ) يثقوا ويسلموا
- ( فريق ) طائفة وجماعة من الناس ( يسمعون ) يدركون بحاسة الأذن
- ( كلام الله ) الذي أنزل على رسله ( يحرفونه ) يغيرونه ( عقلوه ) فهموه
- ( تدبروه ) يعلمون ( يعرفون ) لقوا ( صادفوا ) ( الذين آمنوا ) المؤمنین
- ( خلا ) انفراد ( تحدثون ) تجربون ( فتح ) عرف ( يحاجوكم )
- يلزموكم الحجة ( تعقلون ) تدركون ( يسرون ) يكتبون في نفوسهم
- ( يعلنون ) يظهرون ( أميون ) لا يعرفون الكتابة والقراءة ( أمانى )
- ما يتمناه المرء ( يظنون ) يتوهمون .

## المعنى :

بعد أن خاطب الله بنى إسرائيل وعدد نعمه عليهم وبين لهم  
 الأسباب الداعية لما أصابهم من الذلة والهوان وغير ذلك ، وحذرهم من  
 الاستمرار على ما كان عليه آبائهم وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

ومن معه من المؤمنين الذين كانوا يحسنون الظن ببني إسرائيل ويحسبونهم أولى الناس بالإيمان ، لأنهم موحدون مصدقون بالوحي والبعث ، ولأن الإسلام قد جاء مصدقا لما معهم ، محلا لهم الطيبات ، محرما عليهم الخبائث فقال تعالى ( أفطمعون ) في التأخى مع بني إسرائيل بما لديكم من نظريات معقولة وتأمولون ( أن يؤمنوا لكم ) بعد ما تبين لهم من الحق ( وقد ) فاتكم أن هؤلاء من نسل أولئك الذين ( كان فريق منهم ) ممن اختاره موسى لصحبته عند خطاب ربه ( يسمعون كلام الله ) الذى أنزل على موسى وهو التوراة ( ثم يحرفونه ) بتغيير لفظه وتأويله ( من بعد ما علموه ) لفظا ومعنى ، وهم بذلك قد تعمدوا التحريف عن سوء قصد ( وهم يعلمون ) أى مع علمهم بالحقيقة والصواب لأنهم كانوا على صلة بموسى ولم يكونوا فى حالة ذهول ونسيان ، وبهذا يتنى عنهم عذر الخطأ والنسيان ويثبت عليهم تعمد الفسق والعصيان ، فلا طمع فى حسن إيمانهم ولا أمل فى التأخى معهم والثقة بهم سيما وأنهم جبلوا على النفاق وتعودوا التملق ( وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا ) لهم ( آمنا ) معكم بالله ليكتسبوا بذلك نقتهم ( وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا ) أى قال كل واحد منهم لأخيه ( أتحدثونهم ) أى المؤمنين ( بما فتح الله عليكم ) به فى التوراة من أخبار بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب نصرته ( ليحاجوكم به ) بما رويتموه لهم عن نفس كتابكم وهو التوراة ( عند ربكم ) أمام ربكم بعد أن قامت عليكم الحججة ( أفلا تعقلون ) أن هذا يحط من قدركم ويضر بكم فويخهم الله على هذيانهم حيث قال ( أولاي يعلمون أن الله ) سبحانه وتعالى لا يخفى عليه أمر التحريف ولا يخفى عليه أمر التلون والنفاق ، فالله ( يعلم ما يسرون ) من كفر وكيد ( وما يعلنون )

من إيمان كاذب للمؤمنين ( ومنهم أميون ) أى ومن بنى إسرائيل جماعة ليسوا من الطبقة التى تحرف كلام الله من بعد ما عقلوه لأنهم من العامة ولكنهم ( لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ) أى لا يتصورون من الدين إلا مجرد تلك الأمانى الزائفة التى كان يلقنها لهم أحبارهم من أنهم هم شعب الله وتلك الأكاذيب المختلفة التى كانوا يعلمونها لهم ويؤمنونهم أنها من كلام الله فيقبلونها ويعملون على اتباعها ( وإن هم إلا يظنون ) والحال أنهم ليسوا على علم بحقيقة الكتاب فإذا تلى عليهم سمعوه وإذا ذكر لهم تأويله تقبلوه من غير تأمل ولا تدبر مع أن هذه الطريقة لا توصلهم إلى الحق بل إنهم مكلفون ببحث حقيقة الدين واتباع أحكامه وعدم الاكتفاء بتقليد علمائهم تقليدا أعمى من غير تعقل ولا نظر صحيح .

المفردى :

تدل هذه الآيات على أن من الناس من لا أمل فى الاطمئنان لهدايته، وهم :

- (١) الذين يحرفون الكلم مع علمهم بحقيقته .
- (٢) الذين يتلونون فى أوهامهم ويظهرون ما لا يظنون .
- (٣) الذين يبنون تقليدهم للغير على الأوهام والظنون ويقلدونهم من غير تثبت ويقين . كالاقتقاد بأن مجرد الاتهام إلى الدين الاسلامى كاف للنجاة .

الحكم :

- (١) تحريم تحريف كلام الله .
- (٢) تحريم النفاق بألوانه .

- (٣) عدم جواز الأخذ بالظن في المقطوع به في أصول الدين .  
 (٤) عدم جواز التقليد في العقائد بل لا بد أن يكون ذلك عن يقين ثابت .

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) .

اللفظ :

(ويل) كلمة معناها الهلكة ، وقيل اسم واد في جهنم (يكتبون) يصورون اللفظ بحروف الهجاء (الكتاب) يطلق على كل كتاب يعتقد أنه منزل (يقولون) يتكلمون (يشترؤا) يملكوا (ثمنا) ما كان عوض البيع (قليلًا) ضد الكثير (يكسبون) يربحون .

المعنى :

بعد أن نبه الله نبيه والمؤمنين إلى أنه لا مطمع في إخلاص بني إسرائيل وإيمانهم للأسباب التي سردها في الآيات السابقة ، عاد فنبههم إلى أن التبعة واقعة على عاتق أحبارهم الذين كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه ويختلقون الكذب ، ويضللون السواد الأعظم من الناس بما يملونه عليهم من الاختلاقات التي يوهمونهم أنها من الدين وليست منه في شيء ، ولذلك رتب عليهم حكمه الآتي حيث قال ( فويل للذين يكتبون الكتاب ) كما يشاءون ويؤلفون الرسائل الدينية إلى جانبه ويدسون فيها من الاختلاقات ما يتجافى عن حقيقة الدين ( بأيديهم )

ومن عند أنفسهم، فيحرمون الحلال، ويحلون الحرام، ويخترعون من البدع في الدين ما شامت لهم أهواؤهم بدون أن يكون لهم مستند من كتاب الله (ثم يقولون هذا) أى ما كتبوه وألفوه (من عند الله) كذبا وبهتاناً فيحملون العامة من الناس على التعبد به والاستغناء بما فيه من التعاليم عن كتاب الله الحقيقي على زعم أنهم يفهمون من الدين ما لا يفهمه غيرهم؛ ولا متمع في الواقع لهم من ذلك إلا تحويل الناس عن عقائدهم الدينية الصحيحة ولحب الشهرة والجاه واجتذاب العامة إليهم (ليشتروا به) أى ليستغيضوا بنشر دعايتهم (ثمنا قليلا) دراهم معدودة لربحهم وانتفاعهم (فويل لهم مما كتبت أيديهم) من اختلاق في الدين وتلون في أكاذيبهم لا يسلم بها العقل ولا يقرها الدين (وويل لهم مما يكسبون) من ربح أضاعوا في مقابله دينهم وباعوا من أجله ضمائرهم

المفردى :

ينبه الله العلماء ورجال الدين على الاطلاق بهذه الآية إلى ضرورة التحرى في تحرير الأحكام وتقنينها وتجنب الكذب على الله ورسوله فيها وأن لا يبتدعوا في الدين ما ليس منه . فقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجة ولا عمرة حتى يدعها»

الحكم :

(١) تحريم الكذب على الله وترويج البدع وقد فرع العلماء عن هذا حكما هو عدم جواز أخذ المال على الأمر الباطل ولو كان بالتراضى .

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، قُلْ أُنذِرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالًا



تَعَامُونَ (٨٠) ، بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ  
 فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) .

اللفظ :

( تمسنا ) تصيينا ( معدودة ) قليلة ( أتخذتم ) صيرتم ( عهدا ) ميثاقا  
 ( يخلف ) يغير ( تقولون ) تتكلمون ( تعلمون ) تعرفون ( بلى ) حرف  
 تصديق بمعنى نعم ( كسب ) جمع ( سيئة ) معصية ( أحاطت ) أهدقت  
 من جميع النواحي ( خطيئته ) ذنبه وقرىء ( خطيئاته ) و ( خطيته  
 وخطياته ) ( أصحاب ) ملازمون ( خالدون ) مقيمون إقامة دائمة ( آمنوا )  
 صدقوا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ( عملوا ) صنعوا ( الصالحات )  
 الحسنات العظيمة ( الجنة ) الحديقة الدائمة النعيم .

المعنى :

لقد أعاد الله بيان الأسباب التي تحول دون الطمع في إيمان بني  
 إسرائيل، فعدد منها أنهم يعتقدون أن عذابهم قد تحدد من قبل فلا يمحى  
 بإيمانهم ولا يزداد بإقامتهم على كفرهم ، وقد حكى الله عنهم ذلك بقوله  
 ( وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ) بقدر ما عبدوا العجل ، وهي  
 سبعة أيام أو أربعون يوما على زعمهم ، وقد رد الله على فريتهم هذه  
 بقوله لنبيه عليه الصلاة والسلام ( قل ) يا محمد لمن حولك من بني إسرائيل  
 من أين لكم هذا ؟ هل ( أتخذتم عند الله عهدا ) بذلك ( فان يخلف الله

عهده) فمن أجل هذا وثقتكم كل الثقة ورفضتم الإيمان واتباع هذا الرسول (أم) أنه لا دليل عندكم على هذا وبذلك فأتم (تقولون على الله ما لا تعلمون) وفي كلتا الحالتين فأتم خاطئون في جحودكم وعدم انقيادكم لهذا الدين الخفيف (بلى) ومن المعقول أن تؤمنوا وتصدقوا أن (من كسب سيئة) وارتكب إثما في هذه الحياة فإنما يؤاخذ على جرمه هو نفسه ومتى استرسل في الذنوب وأصر على العصيان (وأحاطت به خطيئته) بحيث أصبح أسير الشهوات حليف الموبقات (فأولئك) من (أصحاب النار) الذين كتب الله عليهم أن يكونوا من سكانها و (هم فيها خالدون) فعلا لأصرارهم على ارتكاب السيئات (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) من كل مأمور به أو مندوب إليه فسينالون أجرهم الذي وعدهم به الله و (أولئك أصحاب الجنة) الذين هبوا لأن يكونوا من سكانها و (هم فيها خالدون) جزاء ما قدموا من إيمان صحيح وعمل صالح .

### المفردى :

تنبه هذه الآيات إلى أن بعض الاعتقادات الفاسدة التي لا تستند إلى دليل صحيح من الكتاب والسنة قد يكون لها تأثير في تقاعس الناس عن اتباع الدين الصحيح والعمل بما جاء فيه ، وذلك كتقاعس بعض المسلمين عن أداء العبادات اعتمادا على مجرد الأمل في شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أو حتى على عفو الله مع تماديهم في العصيان والشرك فهذا ممنوع وينبغي التحرز منه ، لأن الشارع أوضح الحلال والحرام وقدر العذاب على المذنبين وجعل وسيلة النجاة في الآخرة هي الإيمان الصحيح والعمل الصالح .

## الحكم:

يجب أن لا يعتمد الإنسان على حكم من الأحكام من الأوامر والنواهي أو التحليل والتحریم ما لم تكن تلك الأوامر صحيحة النقل عن الكتاب والسنة.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ  
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا  
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا  
قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣).

## اللفظ:

(أخذنا) أمسكنا (ميثاق) عهد (إسرائيل) لقب نبي الله يعقوب (تعبدون) تدعون وتوحدون وتطيعون وقرى (لا تعبدوا) و (أن لا تعبدوا)، و (يعبدون) (الوالدين) الأب والأم (إحسانا) منتهى البر (القربى) صلة الرحم (اليتامى) من فقدوا آباءهم قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال (المساكين) من يعجزون عن كسب ما يكفيهم (حسنا) وقرى بضم الحاء والسين وفتحهما و (حسنى) على المصدر كلما جميلا (أقيموا) أديموا وباشروا (الصلاة) الاتجاه إلى الله (آتوا) فعلوا (الزكاة) ما يقدمه الإنسان من المال لتطهيره (توليتهم) أعرضتم (معرضون) صادون.

المعنى :

لقد عدد الله أيضا من ضمن الأسباب التي تحول دون الطمع في إيمان بني إسرائيل عدم تمسكهم حتى بشريعتهم السابقة حيث قال (و) اذ كر يا محمد ( إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ) من قبل وهذا الميثاق هو أن ( لا تعبدون إلا الله ) والأمر بعدم عبادة غيره يستلزم الأمر بعبادته ، ولم يصرح بهذا لأن اليهود حتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ما كانوا يمتنعون عن عبادة الله ولكنهم كانوا يشركون معه غيره فأراد تنبيههم إلى أن الميثاق الأساسي هو إفراد الله بالعبادة لا مجرد عبادته بمعنى أنه لا ينبغي للإنسان أن يعتقد في أحد قدرة على النفع والضرر غير الله فلا يعول قط على سواه فيما لا يقدر عليه غير الله ، ثم قال (وبالوالدين إحسانا) أى وأوصيناهم بالإحسان إلى والديهم مقابل ما لهم من إحسان سابق (وذى القرنى) لتقوية أواصر المودة ووشيجة القرنى بين العائلات ( واليتامى ) لئلا يفسدوا فيفسد بهم غيرهم فيعم الفساد الأمة ( والمساكين ) لأن الإحسان هو خير وسيلة لامتلاك النفوس وبسط أجنحة الود بين طبقات الشعب (وقولوا للناس حسناً) أى وقلنا لهم قولوا للناس قولاً حسناً، وليس معنى هذا الحسن أن تلتطفوا بالقول معهم فحسب ، بل إن المراد من ذلك هو أداء واجب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) على الصورة التي أرشدكم إليها موسى من قبل ثم أرشدكم إليها محمد صلى الله عليه وسلم الآن (ثم) كان من أمركم أتمم أيها الإسرائيليون أن (توليتهم) عن العمل بما قضيت به عليكم (إلا قليلاً منكم) كما ترون (وأنتم معرضون) بالفعل عن كل هذا إذا اتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله وتكالبتهم على جمع الخطام ، وألقيتم من بينكم واجب التناصح والتشاور .

## المغزى :

ينبه الله بهذه الآية إلى أنه يجب على الإنسان في هذه الحياة عدة واجبات فرض عليه أداؤها : واجب أمام ربه : أن يخلص له العبادة دون سواه ، فلا يدعو غيره ولا يستعين بأحد سواه ؛ وواجب أمام الناس : هو أن يقابل إحسان والديه بمثله ، وأن يتوودد إلى ذوى قريبه ، ويساهم في كفالة اليتيم ، وسد حاجة المساكين ، وأن يحسن خلقه ويسدى النصيحة إلى من عرف ومن لم يعرف ؛ وواجب أمام نفسه : هو أن يهبها ويصقلها بالصلاة المفروضة ويزكها ببذل المال في سبيل الله .

## الحكم :

اتفق العلماء على وجوب تعظيم الوالدين وإن كانا كافرين مع إيصال المنافع إليهما قدر الحاجة وحرمة إيذائهما البتة . واختلفوا في من يطلق عليهم ذوى القربى ، فقال الشافعى : هم كل وارث محرم وغير محرم بما فيهم الأجداد والأحفاد عدا الأب والابن لأنهما لا يعرفان بالقريب ، وقيل لا يدخل الأصول والفروع مطلقاً ، وقيل يدخل الجميع ؛ ويتفرع عن ذلك عدة أحكام في المذاهب .

وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتْسِفْكُمْ دِمَاءُكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ  
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ  
 أَنْتُمْ هُوَ لَأَتَّقُوا أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ  
 دِيَارِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى

تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ، أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ  
 الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ  
 إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ  
 الْعَذَابِ، وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا هُمْ  
 يُنصَرُونَ (٨٦).

## اللفظ:

(أخذ) أمسك (ميثاقكم) عهدكم (تسفكون) تصبون (تخرجون) تظهرون (دياركم) مساكنكم (أقررتم) اعترفتهم (تشهدون) تقرون (تقتلون) تسفكون الدماء وقرى (تقتلون) (فريقا) طائفة جماعة من الناس (تظاهرون) تعاونون وقرى (تتظاهرون) و(تظهرون) (الإثم) اقرار ما لا يحل (العدوان) التعدي والظلم (ياتوكم) يجيشوكم (أسارى) من الأسر، وقرى (أسرى) بفتح الهمزة من غير ألف وإسكان السين (تفادوهم) تخرجون الفدية عنهم، وقرى (تفدوهم) بفتح التاء وإسكان الفاء بلا ألف (محرم) ممنوع (تؤمنون) تصدقون (تكفرون) تجحدون (جزاء) المكافأة على الشيء (يفعل) يعمل (خزي) هوان (يوم القيامة) يوم البعث (يردون) يرجعون وقرى (تردون) (العذاب) كل ما شق على الإنسان (غافل) ساه (تعملون) تصنعون وقرى (يعملون) (اشترؤا) تملكوا (يخفف) يهون (ينصرون) يجدون من يعينهم على دفعه أو تحمله.

المعنى :

بعد أن عدد الله لنيه الأسباب التي تحول دون الطمع في إيمان بني إسرائيل فيما تقدم أخذ يبين له أيضا ما هم عليه من طبائع لاسييل إلى تحويلهم عنها وقد كانت ولا تزال من أكبر الأسباب المانعة من هدايتهم وانقيادهم لله ورسوله وما جاء من عنده، ذلك لأن السر في تأخر الأمم إنما هو لعدم التمسك بالأخلاق الفاضلة واتباع الأوامر الإلهية، وقد نوه سبحانه وتعالى بذكر هذه الطبائع بما يأتي :-

(الأول) التناقض في الأقوال والأفعال، وقد أشار إليه بقوله (وإذا أخذنا ميثاقكم) بالانتهاء عن أمرين: هما أولا (لا تسفكون دماءكم) وثانيا (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي إن الله قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم، وأيما عبد أو أمة وجدوه من بني إسرائيل فليشتروه بما قام من ثمنه ويعتقوه، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس وبنو النضير حلفاء الخزرج وكانا يقتتلان ويخربون ديار بعضهم ويخرجونهم منها ولكنهم إذا أسر رجل منهم جمعوا له المال الكافي لفدائه ويقولون إنا نحاربهم تأييدا لحلفائنا ونفديهم لأن التوراة قد أوجبت علينا فداءهم وبذلك ألزمهم الله الحجة وأثبت عليهم تناقضهم حيث قال (ثم أقررتهم) بحصول الميثاق من قبلكم (وأتمتم تشهدون) اليوم على صحته (ثم أتمتم هؤلاء) الجاحدون المشاهدون (تقتلون أنفسكم) من إخوانكم المحاربين إلى جانب حلفائهم (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) إلى جانب حلفائكم المشركين (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) دون أن يكون

هناك دين تناصرونه أو غاية سامية تعملون لتأييدها (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم) مع أنكم أنتم الذين حاربتموهم وأخرجتموهم من ديارهم وحملتموهم على الوقوع في الأسر. (وهو محرم عليكم إخراجهم) وهذا تناقض ظاهر فلا أنتم اتبعم التوراة ورفضتم الاشتراك في الحرب ضد بعضكم ولا أنتم تجاهلتم ما جاء في التوراة بتأناً فلم تفدوا الأسير منكم (أفتؤمنون ببعض الكتاب) فيما يتعلق بفداء الأسير (وتكفرون ببعض) فيما يتعلق بسفك دماء بعضكم وإخراجهم من ديارهم (فما جزاء من يفعل ذلك) أى الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر أو التلاعب بالدين واتباع ما يروق لكم منه (منكم) بعد اليوم (إلا حزى في الحياة الدنيا) لأنه اتصف بصفات المنافقين واتسم بسيماهم فاستحق الهوان والحذلان (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) جزاء نقضهم عهد الله وميثاقه وعدم تجنبهم ما نهى الله عنه (وما الله بغافل عما تعملون) من أمثال هذا التناقض والاختلاف، ولاغرو فهذا شأن أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا) وما فيها من متاع زائل (بالآخرة) لنقص في عموهم (فلا يخفف عنهم العذاب) لفساد أخلاقهم (ولا هم ينصرون) إذ لا نصير ولا شفيع فى ذلك اليوم إلا بأمره .

المفردى :

تدل هذه الآيات على أن التناقض فى الأقوال والأفعال خصوصاً فيما له علاقة بالدين واتباع بعضه والاعراض عن البعض الآخر تمشياً مع الرغبة النفسية وإثارة للدنيا على الآخرة مما يسبب الحزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .



المحكم :

تحريم الاعتداء على الغير إلا بحق مشروع ، وتحريم التصرف في أوامر الله بحسب الأهواء .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ  
وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ؟ فَفَرِيقًا  
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (١٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ  
بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (١٨) .

اللفظ :

( آتينا ) أعطينا ( الكتاب ) التوراة ( قفينا ) اتبعنا ( الرسل )  
الأنبياء الذين أرسلوا من قبل الله للبشر ( البيئات ) الأدلة ( أيدنا )  
أثبتنا ( روح القدس ) الوحي ، وقرى ياسكان الدال ( تهوى ) تميل  
( النفس ) القوة المهيمنة على الإنسان ( استكبرتم ) تعاضتم ( فريقا )  
الجماعة من الناس ( كذبتهم ) أنكرتم ( تقتلون ) تزهقون الأرواح  
( غلف ) عليها غطاء ( لعنهم ) غضب عليهم ( كفرهم ) جحدهم  
( يؤمنون ) يثقون .

المعنى :

الثاني من طبائع بني إسرائيل الكبرياء ، وقد أشار إليه سبحانه  
وتعالى بقوله ( ولقد آتينا موسى ) من قبلك ( الكتاب ) الذي هو

التوراة فظل يدعو قومه إلى العمل بها إلى أن مات (وقفينا من بعده بالرسول) وهم يوشع وشمويل وداود وسليمان وشعيب وأرميا وعزير وحزقييل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكلهم يدعون بدعوته ويأمرون باتباع شريعته (وآتيناه عيسى بن مريم) الذي انتهت به رسالة بني إسرائيل وجاء بشريعة نسخت أكثر شرع موسى عليه السلام، وأقام لهم (البيئات) على صحة رسالته من المعجزات التي ظهرت على يده كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص (وأيدناه بروح القدس) الذي كان يملئ عليه الإنجيل المدوّن للشريعة التي يجب أن يسيروا عليها، فاستكبروا عن الاضغاء لدعواتهم والرضوخ لتعاليمهم، فقل لهم يا محمد إلى متى هذا الحال (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم) من الأحكام (استكبرتم) عن الإذعان لها واتباعها وقاومتهم الرسل (ففريقا) منهم (كذبتم) بما جاءوا به (وفريقا) منهم كتمت (تقتلون) كأمثال زكريا ويحيى (وقالوا) أي بنو إسرائيل (قلوبنا غلغ) عن تفهم ثمرة ما لم نعلم به من الأحكام (بل لعنهم الله بكفرهم) بما أنزل من عند الله، لأنهم أمروا باتباع ما أنزل إليهم وإن لم يدركوا الحكمة منه (فقليلًا ما يؤمنون) ماداموا لا يتبعون إلا ما مالوا إليه نفوسهم وتبين لهم أمره .

### المفردى :

يحذر الله بهاتين الآيتين من ارتكاب ما ارتكبه بنو إسرائيل من الاستكبار عما لا تقبله النفوس من تعاليم الدين والاحتجاج على ذلك بعدم إدراك حكمة التشريع في بعض الأحكام لتتخذ من ذلك عظة وإرشادا .

الحكم :

حرمة الكبرياء ووجوب أداء العبادات لمحض الطاعة ، والتسليم بها وإن لم تدرك حمتها ، ووجوب عدم الاحتكام للعاطفة والهوى في ذلك .

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (١٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠) .

اللفظ :

( جاہم ) أتاهم ( مصدق ) مؤيد ، وقرىء « مصدقا » ( يستفتحون ) يطلبون الفتح ( ما عرفوا ) ما علموا ( كفروا ) جحدوا وأنكروا ( لعنة الله ) غضب الله ( بئس ) كلمة مستعملة للذم ، من بئس الرجل : إذا أصاب بؤسا ( اشتروا ) ملكوا بالبيع ( أنزل ) أوحى ( بغيا ) ظلما ( ينزل ) يرتب وقرىء « ينزل » بالتخفيف ( فضله ) إحسانه ( يشاء ) يريد ( عباده ) جمع عبد وهو الإنسان حرا كان أو رقيقا ( باءوا ) رجعوا ( غضب ) بغض ( عذاب ) كل ما شق على الإنسان ( مهين ) مذل .

## المعنى :

الطبع الثالث من طبائع بني إسرائيل الحسد ، وقد أشير إليه بقوله تعالى (ولما جاءهم كتاب) وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (من عند الله) ولم يكن مخالفا ولا مكذبا لما بين أيديهم من كتب أنبيائهم السابقين ، بل هو (مصدق لما) كان (معهم) من التعاليم الإلهية (وكانوا من قبل) لعلمهم بما في التوراة من الإخبار عن نبوة محمد وما اتصف به (يستفتحون على الذين كفروا) فيقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقاتلهم (فلما جاءهم) ذلك النبي المنتظر وفق (ما عرفوا) من الصفات وتأكدوا من أنه هو ذلك النبي الذي بشروا به (كفروا به) كعادتهم في تكذيب الرسل من قبل حسدا منهم أن يكون هذا النبي من العرب لا من بني إسرائيل (فلعنة الله على الكافرين) الذين يجحدون الحق بعد ثبوته لهم ويظنون أنهم بذلك قد خلصوا نفوسهم من العقاب واشتروها من العذاب ، قال تعالى إزدراء بعملهم هذا (بئسما اشتروا به أنفسهم) مما حسبوه خيرا لهم (أن يكفروا بما أنزل الله) لا لعدم القناعة بنبوته صلى الله عليه وسلم ولا عن جهل وعدم علم بل (بغيا) وعتادا وحبا في تمني زوال هذه النعمة عن ارتضاه مولاة لهذه الدعوة ، (أن ينزل الله من فضله) الرسالة (على من يشاء من عباده) وقد كانوا يتوقعون نزولها على واحد منهم وهذا هو الحسد بعينه (فبأوا بغضب) على الحسد الذي هو في الواقع بمثابة الاعتراض على الله في جعله ختام الرسالة في العرب الذين هم من نسل إسماعيل بعد أن كانوا يتوقعونه

في نسل يعقوب بن إسحاق ( على غضب ) ترتب عن كفرهم بالقرءان الذي جاءهم به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ( وللكافرين ) هؤلاء ( عذاب مهين ) أى عذاب شديد على الكفر فى الآخرة ومذلة ومهانة فى الدنيا على الحسد . فالحسود لا يسود ، ومن يعترض على تصرفات الله يذله الله .

المفردى :

يحذر الله بهاتين الآيتين من ارتكاب ما ارتكبه بنو إسرائيل من عدم الإذعان للحق فى حالة ما إذا جاءنا عن طريق من لا نحب لأن هذا معناه الحسد والاعتراض على الله فيما صنع وهذا يعد فى درجة الكفر .

الحكمم :

حرمة الحسد بأنواعه .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين (٩١) .

اللفظ :

( آمنوا ) ثقوا وصدقوا ( أنزل ) أوحى ( يكفرون ) يجحدون ( وراء ) خلف ( الحق ) العدل ( مصدق ) مؤيد ( تقتلون ) تزهقون الروح ( أنبياء ) جمع نبي : المنبشون بأوامر الله بوحي من الله .

المعنى :

الطبع الرابع من طبائع بنى إسرائيل المواربة أو المغالطة ، وقد أشير

إليه بقوله تعالى ( وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ) على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم ( قالوا ) بل نحن ( تؤمن بما أنزل علينا ) في التوراة وكتب سائر الأنبياء الذين أتوا بتقرير شريعة موسى ويقصدون بقولهم هذا أنهم لا يعترفون بما أنزل على سواهم ( ويكفرون بما وراءه ) وإن لم يصرحوا بهذا مغالطة ومداهنة وهم يعلمون بصحة رسالة هذا النبي الكريم وأن دينه هو الدين الصحيح ( وهو الحق ) لأنه جاء ( مصدقا لما معهم ) من الكتاب الذي يزعمون التمسك به ، وقد أمر الله نبيه أن يعرض عن مواربتهم هذه ويناقشهم فيما يدعون حيث قال ( قل ) يا محمد إذا ( فلم ) كنتم ( تقتلون أنبياء الله ) الذين تدعون التمسك بما جاءوا به ( من قبل ) في عهد رسالتهم ( إن كنتم ) حقا ( مؤمنين ) صادقين فيما تزعمون .

المغزى :

يحذر الله من المواربة والمغالطة في القول فإنها لا تقبل عند ذوى البصائر النيرة ، ولا تغنى من الحق شيئا .

الحكم :

يجب على المؤمن أن يكون صادقا صريحا في أقواله .

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ  
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (١٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ  
خُذُوا مَاءَ آيَاتِكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا، قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا

فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَا أُمُرِكُمْ بِهِ إِعْتَكُمُ إِنَّ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٣٩).

اللفظ :

(البيئات) الدلائل والحجج (اتخذ) صير (العجل) ولد البقر (ظالم)  
واضع الشيء في غير محله (أخذنا) أمسكنا (ميثاقكم) عهدكم (رفعنا)  
أعلينا (الطور) الجبل (آتيننا) أعطينا (بقوة) باكره (اسمعوا) أدرخوا  
بقوة السمع (عصينا) خالفنا الأوامر (أشربوا) اشتد بهم الحب حتى  
امتزج وخالط قلوبهم (كفرهم) جحدوم (بسما) أصابوا بؤسا  
(إيمانكم) تصديقكم .

المعنى :

الطبع الخامس من طبائع بني إسرائيل العناد وهو الذي لاح  
في موقفهم حيال موسى عليه السلام رغم ما جاءهم به من البيئات ولذلك  
أتى به الله في أسلوب مخاطبة بني إسرائيل حيث قال (ولقد جاءكم موسى)  
من قبل (بالبيئات) التي تثبت لكم رسالته من ربه الذي أخبركم أنه  
ذاهب لمناجاته ، فأبى عليكم عنادكم إلا أن تتناسوا تلك البيئات وما كاد  
يتعد عنكم حتى رجعتكم إلى إصراركم (ثم اتخذتم العجل من بعده) إلهها  
تعبدونه من دون الله (وأنتم ظالمون) بهذا العناد بعد ما ظهر لكم من  
البيئات .

أما الطبعة السادس من طبائع بني إسرائيل فهو اللجاج ، وهو ذلك  
الذي بدا من موقفهم تجاه رب العزة سبحانه ، حيث تجلى عليهم بقدرته

وكلفهم باتباع أوامره ، فما كان منهم إلا أن تمادوا في العناد وأعلنوا العصيان صراحة ، وقد أشار إلى ذلك تبارك وتعالى في مخاطبته لبني إسرائيل حيث قال ( وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ) تخويفاً وتهديداً وقلنا لكم ( خذوا ما آتيناكم ) من التوراة واعملوا بما فيها ( بقوة ) وإلا فإننا سننزل عليكم العذاب ألواناً ونوقع عليكم الجبل ( واسمعوا ) إنا قد أنذرناكم بنزول العقاب بكم ( قالوا سمعنا ) ما نزل من التوراة ( وعصينا ) فلا نعمل بما فيها ( وأشربوا في قلوبهم ) حب ( العجل ) والإيمان به ( بكفرهم ) الناشئ من اعتقادهم جواز التشبيه في حق الله وعبادة غيره معه ( قل بئسما يأمركم به إيمانكم ) الذي يسوغ لكم نسبة التجسيم إلى الله وتصوره في شخص العجل ( إن كنتم مؤمنين ) بالله وفق تعاليم موسى لكم ، وهي أن الإيمان توحيد الله وإخلاص العبادة له وعدم إشراك غيره معه .

المفردى :

تحذر هاتان الآيتان من مغبة العناد واللجاج إذ هما من شر الطباع وأسوأ الأخلاق التي تؤدي إلى الكفر وسوء العاقبة .

الحكم :

وجوب الرضوخ للحق والإقلاع عن العناد واللجاج .

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) .



## اللفظ :

(خالصة) صافية (دون) غير (الناس) اسم وضع للجمع  
واحد إنسان (تمنوا) اطلبوا (صادقين) الذين يتكلمون عن قناعة  
ويقين (قدمت) فعلت (عليم) المتصف بالعلم (الظالمين) الذين ينكرون  
الحق ويعتدون على الغير .

## الطعن :

الطبع السابع من طبائع بني إسرائيل كذب الإنسان على نفسه وهو  
أشر أنواع الكذب ، وقد تجلى ذلك منهم في ادعائهم بأنهم هم الناجون  
يوم القيامة لأنهم أبناء الله وأحباؤه المنحدرون من أكابر أنبيائه ، فردّ  
الله على ذلك بقوله (قل إن كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة (عند  
الله خالصة من دون الناس) كما تزعمون (فتمنوا) بقلوبكم (الموت)  
لتظفروا بعده بالحياة السعيدة التى وعد الله بها عباده المخلصين (إن كنتم)  
فيما زعمتم (صادقين) غير واهمين ، مع أنهم لم يتمنوا الموت قط (ولن  
يتمنوه أبدا) إذ هم يعلون من أنفسهم أنهم ما كانوا صادقين فيما يدعون  
بل هم يدركون فى أنفسهم حقيقة أمرهم وعدم نجاتهم فى الآخرة  
فيكرهون الموت ويخشون العذاب (بما قدمت أيديهم) من السيئات  
(و) هم يعلون إلى جانب هذا أن (الله عليم بالظالمين) المفتزين الكذب  
على الله بقولهم إن الدار الآخرة خالصة لهم فسوف لا يفلتهم الله من  
عقابه على هذا الكذب الصراح .

المفردى :

تنبه هاتان الآيتان إلى أن من شر البلايا وأخط أنواع الكذب كذب الإنسان على نفسه مع عليه بحقيقة أمره ، لأنه يكون في الأول كذبا ، ثم يرسخ في النفس غالبا فيصبح أشبه بحقيقة يؤمن بها الإنسان فيعود ذلك عليه بأسوأ النتائج .

الحكم :

حرمة ادعاء الإنسان لنفسه ما ليس له .

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا  
يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ  
أَن يُعَمَّرَ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) .

اللفظ :

(تجد) تلقى (أحرص) أشد طمعا (حياة) ضد الممات وقرى  
(الحياة) (أشركوا) جعلوا مع الله إلها آخر (يود) يحب (يعمر)  
يعيش زمنا طويلا (يزحزحه) يباعده (العذاب) كل ما شق على الانسان  
(بصير) خبير (يعملون) يصنعون وقرى (تعلمون) .

المعنى :

الطبع الثامن من طبائع نبي إسرائيل التهافت على حب الحياة حبا يجعلهم يفرطون في هذا السبيل بدينهم وأخلاقهم ومروءتهم ، وقد أشار

إلى ذلك الله سبحانه وتعالى بقوله (ولتجدنهم) يا محمد (أحرص الناس على حياة) وهذا هو السبب الذي حملهم على التقاعس عن دخول الأرض المقدسة في الماضي أمثالا لأمر موسى وهو السبب الذي سيحملهم على التقاعس عن أداء واجب نصرتك والجهاد تحت لوائك ، بل ويحملهم على الحرص على الأموال أن تبذل في سبيل الله ويدعوهم إلى الانهماك في اللذات والشهوات ، فلا خير يرجى منهم ما داموا على هذا الحال (ومن الذين أشركوا) ستجد أيضا من يحرص على الحياة بحيث (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) والحياة الدنيا إنما جعلت لتكون مزرعة للآخرة وسبيلا للتخلص من عذاب الله ، فماذا تفيدهم الحياة إذا لم يستغلوها في سبيل إرضاء الله ؟ وماذا يجديهم طول العمر إذا ما انتهى بالموت (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) على أن إطالة العمر لا تزحزح عن العذاب فلا شيء إذا كل هذا الحرص على الحياة ؟ (والله بصير بما يعملون) والله مطلع على ما يصنعون وسيحاسبهم حسابا عسيرا على كل ما اقترفوه في هذه الحياة التي فتنوا بحبها ومضوا فيها على غير هدى .

### المغزى :

يحذر الله المؤمنين من التكالب على الدنيا ، والتفاني في سبيلها إلى حد يدعونا إلى كراهة الموت لثلاث تقاعس عن واجب الجهاد لإعلاء كلمة الله ونضن عن الانفاق في سبيله وهذا من أكبر العوامل في تأخر الأمم ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى

على القصعة أكلتها ، قالوا أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال لا بل أنتم  
كثير ولكنكم غناء كغناء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة  
منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب  
الدنيا وكرهة الموت .

### الحكم :

كرهة التفاني في حب الدنيا وشؤونها واستحباب ذكر الموت والأمل  
فيما بعده وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم « اذكروا هازم اللذات » .

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ  
اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)  
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) .

### اللفظ :

(عدوا) خصما (جبريل) بكسر الجيم ، وقرىء بفتح الجيم وكسر  
الراء ، وقرىء أيضا بفتح الجيم والراء مهموزا (جبرئيل) و(جبرئيل) اسم  
ملك الوحي (مصدقا) مؤيداً (هدى) دلالة برقى (بشرى) خبر سار  
(المؤمنين) المصدقين بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم (ملائكته)  
أرواح نورانية (رسله) الأنبياء الذين أرسلوا لهداية البشر (ميكال)  
وقرىء (ميكائل) و(ميكمل وميكثيل وميكثيل) اسم ملك (الكافرين)  
الجاحدين المكذبين .

المعنى :

الطبع التاسع من طبائع بني إسرائيل خصومتهم لكل من يدعو إلى الحق ، وقد تجلى ذلك في إعلانهم الخصومة ضد جبريل باعتباره هو الملك الذى عهد إليه إنزال القرآن على النبي العربي فإنهم لما طبعوا عليه من عداوة كل داع إلى الحق زعموا أن جبريل عدوهم لأنه أمر أن يجعل الرسالة فيهم فجعلها في غيرهم وقالوا للمؤمنين لو أن ميكائيل هو الذى ينزل عليكم لاتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث ، فكشف الله سرهم وصرح لهم بأن عداوة الداعين للحق عداوة للحق نفسه ، بل عداوة للأمر به وهو الله سبحانه وتعالى حيث قال ( قل ) يا محمد ( من كان عدوا لجبريل ) للسبب الذى يزعمونه فإن عداؤه باطل لأنه لم يكن لجبريل أى تصرف فى الأمر بل هو ملك رسول منفذ لإرادة ربه وعند ما أمر بتبليغ القرآن إليك ( فإنه نزله على قلبك ) عن حكمة إلهية ( بإذن الله ) وأمره وهذه الحكمة هى أن يكون ( مصدقا ) ومؤيدا ( لما ) سبق ( بين يديه ) من كتب الأنبياء السابقين ليكون دينا قيما للناس أجمعين ، ومن أجل هذا أنزل عليك باعتبارك من العرب ولو أنه أنزل على واحد من بني إسرائيل لاعتبر خاصا بهم وهذا ما لم يرد الله بل أراد أن يكون القرآن للعموم ( وهدى ) لمن رام الهداية ( وبشرى ) بعظيم الثواب الذى أعد الله ( للمؤمنين ) الذين اهتدوا بما جاء فى القرآن من أوامر ونواهي فصدقوا بما ورد فيه من أخبار يوم القيامة ، وحيث ثبت أن جبريل لم يكن له أى تصرف فى إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره تبين أن عداؤهم لجبريل إنما كان عداة للحق والداعين إليه ،

بل عداة الله المقدر لكل ذلك ولذا قال تعالى ( من كان عدوا لله ) الذى قضى بجعل الرسالة فى نبيه العربى ( وملائكته ) المطيعين لأوامره المبلغين لأحكامه ( ورسله ) الصادعين برسالاته ( وجبريل وميكال ) بصورة خاصة باعتبارهما موضع البحث ( فإن الله عدو للكافرين ) الذين لا يؤمنون بنزول هذا القران من عند الله على عبده محمد بن عبد الله وعداوة من عادى الله وملائكته ورسله لا تؤثر فيهم بخلاف عداوتهم له فإنها تؤدى به فى العاجلة إلى الذلة والمسكنة ، وفى الآجلة إلى العذاب الدائم المقيم .

المغزى :

تنبه هذه الآية إلى أن عداوة القائم بالحق والداعى إليه عداة للحق نفسه وعداوة القران وهو أفضل الكتب كعداوة سائر الكتب الإلهية لأن الغرض من الجميع واحد ، وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الأنبياء كعداوة جميع الرسل لأن وظيفة الجميع واحدة وعداوة أولياء الله عداوة لله كما جاء فى الحديث القدسى «من عادى لى فاقد آذنته بالحرب»

الحكم :

يحرم ذم الملائكة والأنبياء والرسل وكل من يدعو إلى الحق .

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا  
 الْفٰسِقُونَ (٩٩) أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ، بَلْ  
 أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) .

اللفظ :

( أنزلنا ) أوحينا ( آيات ) جمع آية وهي جمل من القرآن ( بينات ) واضحات ( يكفر ) يمجحد ( الفاسقون ) الخارجون عن طريق الصلاح ( أو كلما ) الهمزة للانكار والواو للعطف وقرى ( أو كلما ) ( عاهدوا ) تعاهدوا وقرى ( عاهدوا وعهدوا ) ( عهدا ) ميثاقا ( نبذه ) طرحه وألقاه ( فريق ) جماعة من الناس .

المعنى :

الطبع العاشر من طبائع بنى إسرائيل المكابرة في الحق ، وقد تجلّى ذلك فيما كان بينهم وبين معاذ بن جبل حيث قال لهم : يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتخبرونا أنه سيبعث وتصفوه لنا فأجابه بعضهم بقوله ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكره لكم فأنزل الله تعالى قوله ( ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ) فكابروا وقالوا ما جاءنا بشيء من البينات ( وما يكفر بها ) ويكابر في حجتها بعد أن جاءت ( إلا الفاسقون ) الذين تجاوزوا في الكفر النهاية القصوى .

وأما الطبعة الحادى عشر من طبائع بنى إسرائيل فهو نقض العهود ، وقد تجلّى ذلك فيما قاله جماعة منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما ذكرهم بما أخذه الله عليهم وعهده إليهم من أن يؤمنوا به فقال له مالك بن الصيف والله ما عهد الله إلينا عهداً من أجلك ولا أخذ علينا ميثاقاً فأنزل الله قوله ( أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ) وزعم أنه ما علم به ولم يحصل ، وهذا هو شأنهم من قبل مع الأنبياء السابقين فما قاله لك اليوم مالك بن الصيف ليس هو رأيه الخاص فيك ( بل أكثرهم لا يؤمنون ) لأنهم قوم لا عهد لهم ولا ميثاق ، ولا إيمان لمن لا عهد له .

المفردى :

تدل هاتان الآيتان على أن من كان طبعه المكابرة في الحق ونقض العهد فلا سبيل إلى إيمانه ، لأن الدين الإسلامى دين قناعة ووفاء، ومن طبعه المكابرة لا يمكن أن يقنع، وناقض العهد لاثبات له فلا يؤمن جانبه.

الحكمكم :

حرمة المكابرة في الحق ونقض العهود .

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسِ السَّحَرِ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ ، وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَمَاهُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلَّمُوا الْمَنْ أَسْتَرَهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ، وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣) .



## اللفظ :

( مصدق ) مؤيد ( نبذ ) طرح ورمى ( فريق ) جماعة من الناس ( أوتوا ) أعطوا ( وراء ) خلف ( ظهور ) الظهر ما يقابل البطن للإنسان ( يعلمون ) يعرفون ( اتبعوا ) انقادوا ( تتلوا ) تقرأ ( الشياطين ) كل عات متمرّد من إنس و جن أو دابة و قرىء ( ولكن الشياطين ) بسكون نون لكن و ضم نون الشياطين ( ملك ) الحكم والسلطان ( كفروا ) جحدوا ( السحر ) إظهار الباطل في صورة الحق ( ملكين ) بفتح اللام من الملائكة ، و قرىء بكسر ها من الملك وهو السلطان ( بابل ) مدينة بأرض شنعار على شاطئ نهر الفرات ( هاروت و ماروت ) اسمان للملكين و قرىء ( هاروت و ماروت ) ( فتنه ) ابتلاء ( تكفر ) تجحد ( يتعلمون ) يتفهمون ( يفرقون ) يفصلون ( ضارين ) ملحقين الضرر و قرىء ( بضارى ) بالإضافة لأحد ( إذن ) اجازة ( يضر ) الضر سوء الحال ( ينفع ) النفع حصول المطلوب ( اشترى ) ابتاع ( الآخرة ) يوم القيامة ( خلاق ) النصيب الوافر من الخير ( بثسما ) فعل للذم ، من بثس : إذا أصاب بؤسا ( آمنوا ) وثقوا ( اتقوا ) خافوا ( مشوبة ) جزاء بخير و قرىء ( المشوبة ) ( خير ) اسم تفضيل مخفف أخير بمعنى حصول الشيء على كماله .

## المعنى :

الطبع الثانى عشر من طبائع بنى اسرائيل هو نبذهم الدين كليه عند الاقتضاء ، وقد تجلّى ذلك فى نبذ فريق منهم للتوراة وراء ظهورهم بمعنى تركهم العمل بها عند ما جاء القرءان مؤيداً لها وداعياً لمثل ما تدعوهم إليه من توحيد الله وعدم الشرك حيث قال تعالى ( ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ) من التوراة ( نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب ) بمن يدعون التمسك به من بنى اسرائيل ( كتاب الله ) الذى

هو التوراة (وراء ظهورهم) نبذ من لا يعلم عنه شيئاً (كأنهم لا يعلمون) أنه نزل عليهم مبالغة في تركه وإهماله ، بل إنهم لم يتورعوا من ارتكاب ما هو أكبر من هذا وهو :

الطبع الثالث عشر من طبائعهم ، اللجوء إلى طرق غير مشروعة في سبيل أغراضهم وقد تجلى هذا في تعاطيهم السحر وما أشبهه في سبيل مقاومة الدين حيث قال تعالى ( واتبعوا ) في هذه الحياة ( ما تتلوا الشياطين ) من الإنس والجن وتنسبه افتراء ( على ملك سليمان ) لأنهم كانوا يقرءون كتب السحر ويزعمون أن ملك سليمان ما قام إلا على هذا العلم الذي يخيل للناس أن للساحر قدرة على خلق الأجسام وإيجاد الحياة وترتيب الأشكال والعلم بالمغيبات وكل هذا كفر يبرأ منه سليمان ولذلك قال تعالى ( وما كفر سليمان ) لأنه لم يكن ساحراً وما عمل بالسحر قط ( ولكن ) أولئك ( الشياطين ) من نسل إبليس وأتباعه من الإنس والجن هم الذين ( كفروا ) بنسبة السحر إلى سليمان كذبا وزورا لأن هذا يعد إنكاراً لمعجزاته وجحوداً لنبوته ، وزاد في كفرهم أنهم صاروا ( يعلمون الناس السحر ) ليوهموا العامة أنهم قادرون على ما لا يقدر عليه إلا الله ويحملونهم على التعلق بهم من دونه ويضلونهم عن سبيله ( وما أنزل ) ويعلمونهم أيضاً ما أنزل ( على الملكين بيابل ) ببلدة بابل وقد كان أهلها قوما صابئين يعبدون الكواكب ويسمونها آلهة ويعتقدون أن حوادث العالم كلها من أفعالها فبعث الله ملكين هما ( هاروت وماروت ) فصار هذان الملكان يعلنان للناس حقيقة السحر ووسائل تأثيره وطرق إفساده ليعلم الناس الفرق بين المعجزة والسحر حتى يتمكنوا من معارضة الذين يدعون النبوة

كذبا وليفضحوا أسرار السحرة وليكشفوا للناس وجوه الحيل حتى لا يخذعوا بهم (وما) كان هذان الملكان (يعلمان) هذا العلم (من أحد) أى لأحد (حتى) يحذراه من العمل به ويفهماه بأن المقصود منه هو مجرد التحرز من السحر بل (يقولان) له صراحة (إنما نحن) بتعليمنا لهذا العلم (فتنة) لنرى إن كنت تعمل على مقاومة السحر وفضح أسراره أم تتوصل به إلى المفاسد والمعاصي (فلا تكفر) بالله ولا تستعمله فيما نهيت عنه (فيتعلمون منهما) ما يروق لهم من ذلك وهو (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) ويستعملونه لهذا الغرض ويتصورون لأنفسهم قوة غيبية خفية يفعلون بها ما يؤمهم الناس أنهم قادرون على ما هو فوق استعداد البشر (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) وفاتهم أنه إذا أصيب أحد من أعمالهم فإنما ذلك بسبب من الأسباب التي قضت به قدرة الله أن يكون له ذلك التأثير ، فهذا السحر الذي يحسبون به لأنفسهم قدرة على محاكاة قدرة الله لا يؤثر إلا بمشيئة الله وتخليته تعالى بينه وبين الضر وسوف لا ينالهم من ورائه غير العذاب (و) هم به (يتعلمون ما يضرهم) لأنه سبب للإضرار بالناس وهو محرم يعاقب عليه الله (ولا ينفعهم) لأن المنفعة التي تحصل منه يمحقها الله الذي أخبر بعدم نفعها (ولقد علموا) من التوراة أن عمل السحر كعبادة الأوثان (لمن اشتراه) وآثره على كتاب الله (ماله في الآخرة من خلاق) فهو بذلك قد باع آخرته بديناره بل باعها من غير ثمن وفي غير منفعة (وابئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) حكمة تحريم السحر ويصدقون بما أوعده الله به من تركيبه في الآخرة من العذاب ، إذا لأدركوا مبلغ الخسران الذي لحقهم والعدوان الذي شملهم والنكاية التي أضرت بهم والتجارة المزجاة التي

خسروها باتباعهم الهدى بالضلال والحق بالباطل والنور بالظلام، ولو أنهم التفتوا وتبصروا ما قدموا على مضرة أنفسهم (ولو أنهم) أى بنى إسرائيل (آمنوا) بالله ورسوله بدلاً من هذا السحر واتباع نزغات الشياطين (واتقوا) عذاب الله باتباع أوامره والاقلاع عن كل ما لا يرضيه من السحر وخلافه (المثوبة) لنالوا ثواباً (من عند الله خير) من الطرق الغير مشروعة التى انتهجوها (لو كانوا يعلمون) ما يترتب على اتباعهم لهذه الطرق من الأضرار العظيمة التى ستعود عليهم بالدمار.

المفردى :

تدل هذه الآيات على ما يأتى :

(١) التحذير الشديد من ترك العمل بكتاب الله .

(٢) التحذير الشديد من تعاطى السحر والعمل به .

(٣) إن ما ينسبه البعض إلى سيدنا سليمان من الطلاسمة والعزائم وأعمال السحر لاصحة له وما هو إلا محض افتراء فالسحر كفر وما كان سليمان كافراً .

الحكم :

اتفق العلماء على تحريم تعاطى السحر وإن المال الذى يؤخذ على السحر أو يسديه يعد من أكل أموال الناس بالباطل ، وأجمع علماء الساف على وجوب قتل الساحر لقوله صلى الله عليه وسلم «حد الساحر ضربة بالسيف» ونص بعضهم على كفره ؛ وقال أبو حنيفة يقتل الساحر مسلماً كان أو ذمياً دون المرأة فإنها تحبس وتضرب حتى يتيقن تركها السحر ؛ وقال مالك

يقتل الساحر المسلم دون الذمي إلا إذا أضر بالمسلم، وقال الشافعي إن الساحر لا يعد كافراً فلا يقتل إلا إذا تعمد القتل بسحره وإلا فهو عاص .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا  
وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ،  
وَاللَّهُ يُخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) .

## اللفظ :

(تقولوا) تملفظوا (راعنا) انظر إلينا ، وهي كلمة تستعمل عند اليهود  
للسباب وقرىء (راعونا) (انظرنا) راقبنا واجعلنا تحت نظرك وقرىء  
( أنظرنا ) أمهلنا ( اسمعوا ) اصغوا ( الكافرين ) الجاحدين ( عذاب )  
كل ماشق على الإنسان ( أليم ) موجه ( يود ) يحب ( أهل الكتاب )  
من أرسلت لهم الرسل ( المشركين ) الذين يعبدون مع الله إلهاً آخر  
( ينزل ) يوحى ( خير ) ضد الشر ( رب ) مالك وسيد ( يختص ) يفرد  
( رحمته ) عطف يقتضى الإحسان ( يشاء ) يرغب ( الفضل ) الابتداء  
بالإحسان بلا علة .

## المعنى :

بعد أن نبه الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى طوائف بني إسرائيل  
وأخلاقهم ، خاطب المؤمنين كافة ونههم إلى سيئات الإسرائيليين ومطاعنهم  
ضد الإسلام ونوعها إلى أنواع :

النوع الأول : ما كان موجهاً إلى الإسلام في شخص رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنهم كانوا يقولون له راعنا، وهي كلمة عبرانية أصلها «راعينو» أى شري، ويقصدون بها الخط من قدره دون أن يشعر الصحابة رضوان الله عنهم بذلك حتى أنهم كانوا يخاطبونه بها أيضاً، لأن معناها في العربية انظر إلينا أولاً تخرجنا من تحت نظرك ورعايتك ففهم الله عن التلغظ بهذه الكلمة حيث قال (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) فكان هذا بمثابة إلفات نظر المؤمنين بما يراد بهذه الكلمة عند اليهود؛ حتى لقد روى : أن سعد بن معاذ قال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذي نفسى بيده لو أنى سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه (وقولوا) بدلا عنها المعنى المقصود حقيقة منها وهو (انظرونا) يارسول الله (واسمعوا) ما أمرتم به حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه (وللكافرين) الذين يقصدون النيل من مقام الرسول (عذاب أليم) إذا لم ينتهوا عن ذلك سرا وعلنا .

النوع الثاني : من سيئات بنى إسرائيل ومطاعهم ضد الإسلام ما كان موجهاً إليه في شخص أتباعه، وذلك أنهم كانوا يتظاهرون لهم بالود ويقولون وددنا لو كان دينكم خيرا مما نحن فيه لتبغنه، فحذرهم الله منهم بقوله (ما يورد الذين كفروا) بهذا الدين الإسلامى (من أهل الكتاب) من الإسرائيلين (ولا المشركين) من غيرهم (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) ولكن الله سبحانه وتعالى قد منَّ عليكم بأعظم الخيرات وهو القرءان لأنه النظام الكامل والهداية العظمى التى وحدت شعوبكم وهدبت نفوسكم وأعلت كلمتكم وورقت مداركم وأزالت الحقد والضغائن من بينكم (والله يختص برحمته من يشاء) من عباده (والله ذو الفضل العظيم) .

المغزى :

يحذر الله بالآية الأولى من وصف الرسول أو مخاطبته بأية عبارة قد تشعر بالامتهان لمقامه الشريف ولو كان ذلك في لغة غير اللغة العربية ، كما يحذر بالآية الثانية من الانخداع بتظاهر غير المؤمنين لنا بالود فإنهم في الواقع غير صادقين .

الحكم :

أخذ الامام مالك من هذه الآية حكماً . هو وجوب تجنب الألفاظ المحتملة للتعريض والتفويض والقذف مطلقاً وقال بأن ذلك ملزم للحد ، خلافاً للشافعي وأبي حنيفة حيث قالوا بأن اللفظ المحتمل للقذف وغيره لا يوجب الحد لأن الحد يدرأ ويسقط بالشبهة . واستتج الشافعي من منع المسلمين من التلفظ بكلمة (راعنا) والتصريح لهم بكلمة (انظرنا) عدم صحة الصلاة بترجمة الفاتحة سواء بالعربية أو الفارسية أو غيرها وجمهور المفسرين على أنه تعالى إنما منع من قول «راعنا» لأنها اشتملت على نوع مفسدة . ولذا قال أبو حنيفة بجواز قراءة الفاتحة باللغات الأخرى لمن عجز عن قراءتها بالعربية وصلاته صحيحة .

مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ،  
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ  
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا  
 نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى

مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ  
السَّبِيلِ (١٠٨) .

اللفظ :

(نسخ) بفتح النون والسين وقرى° (نسخ) بضم النون وكسر السين  
ببدل (آية) بعض جمل القرآن (نسخها) نزيلها من الذاكرة (نأت)  
نجىء (خير) اسم تفضيل مخفف أخير (مثلها) نظيرها (تعلم) تتيقن  
(ملك) السلطان والتصرف (ولى) حافظ ساهر على المصالح (نصير)  
معين على دفع الضرر والعدو (تريدون) تحبون (تسألوا) تطلبوا (يتبدل)  
يأخذ شيئاً مكان شيء وقرى° (يبدلُ) (ضل) ضاع (سواء السبيل)  
الطريق القويم .

المعنى :

النوع الثالث : من سيئات بنى إسرائيل ومطاعنهم ضد الإسلام  
ما كان موجهاً إلى كتابه الكريم ، وذلك أنهم كانوا يقولون الأترون محمداً  
يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ثم  
يرجع عنه غداً فأراد الله الرد على فريتهم وعلى طعنهم هذا بقوله (ما ننسخ  
من آية) أى نبدلها بآية أخرى (أو ننسخها) بأن نأمر بعدم تلاوتها فتنسى  
ويبطل حكمها حتى (نأت بخير منها أو مثلها) أى إذا شددنا فى أمر  
لحالة تستدعى التشديد ثم أزيلت تلك الحالة فن الحكمة أن نعدم إلى  
التخفيف ، وإذا تساهلنا فى أمر لظروف خاصة اقتضت ذلك ثم زالت  
تلك الظروف وجب أن نعدل إلى ما فيه المصلحة والخير العام وذلك  
لحكمة تضمن تنفيذ الأحكام وإقامة الشرع على أكمل وجه (ألم تعلم)



يا من تستمع إلى تلك الاعتراضات على هذا النسخ والتبديل ( أن الله على كل شيء قدير ) أى أنه لو لم يكن فى النسخ والتبديل حكمة إلهية لما أعجزه أن يتحاشى ذلك ( ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ) والمالك يتصرف فى ملكه كما يشاء والحاكم من واجبه أن يصدر الأحكام حسبما تقتضيه تطورات الأزمان وعقلية الأمم بتغيير الأحوال فلا محل للاعتراض على نسخه لآية أو إبدالها بسواها .

( ومالك من دون الله من ولى ولا نصير ) أى لا تبالوا بمن ينكر النسخ أو يعيبكم عليه وحذار أن يستهويكم إنكاره فيضعف ذلك من إيمانكم واتقوا الله وحده ولا يهكم من أمرهم شيئا ( أم ) داخلكم الريب من أقوالهم ولذلك ( تريدون أن ) تجاروهم فى ضلالهم و ( تسألوا رسولكم ) محمدا أسئلة تعجيز واختبار ( كما سئل موسى من قبل ) فتلحون فى طلب الحكمة لهذا النسخ أو بيان الأسباب الداعية له للتأكد من صحتها ، وهذا يعد كفرًا إذ الدين الإسلامى دين إيمان وتصديق وتسليم ( ومن يتبدل الكفر بالإيمان ) ويأبى إلا الاعتراض والعنت ( فقد ضل سواء السبيل ) وكان بمن اتبع سنن اليهود فيما كانوا عليه .

### المغزى :

تدل هذه الآيات على ما يأتى :

- (١) لا يعيب القرآن وجود ناسخ ومنسوخ فيه ، فذلك حق من حقوق الله وسنة من سننه فى وضع النظم والقوانين الوضعية بحسب ما تقتضيه الأحوال وتدعو إليه الحاجة .
- (٢) أن الاعتراف بأن الله هو مالك الملك والكائنات بما فيها السموات والأرض لا يتفق مع الاعتراض على شيء من تصرفاته .

(٣) لا يليق بمن يؤمن برسالة النبي أن يتردد في تقبل ما جاء به من الآيات بأنها من عند الله .

الحكم :

استنتج العلماء من هذه الآيات جواز نسخ حكم الآية مع بقاء التلاوة وهو كثير في القرآن كآية الوصية وآية العدة ، وجواز نسخ التلاوة مع بقاء الحكم كما ورد عن عمر رضی الله عنه أنه قال : كان فيما نزل من القرآن (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) وقد نسخت التلاوة وبقي الحكم ، وجواز نسخ الحكم والتلاوة معا ، كما ورد عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرم من) ثم نسخت بآية أخرى (خمس رضعات معلومات يحرم من) فالآية الأولى منسوخة الحكم والتلاوة والثانية منسوخة التلاوة دون الحكم عند الشافعي ، ولا خلاف في أن القرآن ينسخ بالقرآن كما أن الخبر المتواتر ينسخ بمثله وخبر الأحاد بنجر الأحاد ، ولكن اختلفوا في جواز نسخ القرآن بغير القرآن فقال الجمهور بالجواز ، وقال الشافعي بعدم الجواز ولكل وجهته وحجته ودليله ويطلب من المطولات .

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْتَصِمُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) .

## اللفظ :

(ودّ) أحب (يردونكم) يرجعونكم (إيمانكم) تصديقكم (كفاراً) جاحدين (حسداً) الحسد بمعنى زوال نعمة الغير (تبين) اتضح (الحق) ضد الباطل (اعفوا) تنازلوا عن عقوباتهم (اصفحوا) أعرضوا عنهم (أمره) حكمه (قدير) صاحب القدرة (أقيموا) داوموا على (الصلاة) بالدعاء ويراد بها الحالة المخصوصة التي تبدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم (آتوا) أعطوا (الزكاة) ما يخرج من المال لتطهيره (تقدموا) تعجلوا إخراجها وقرى (تقدموا) (خير) كرم (تجدوه) تظفروا به (تعملون) تصنعون وقرى (يعملون) (بصير) خبير .

## المعنى :

النوع الرابع من سيئات بني إسرائيل ومطاعنهم ضد الإسلام ما كان موجهاً إليه في حقيقته، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين بعد وقعة بدر: ألم تروا ما أصابكم من الهزيمة ولو كنتم على الحق وكان نبيكم مرسلًا من عند الله وسائرًا بأمره ما هزتمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً، فبه الله المؤمنين إلى مكرهم هذا بقوله (ودّ كثير من أهل الكتاب) الذين يضمرون البغض للإسلام من اليهود (لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً) بما يلقونه عليكم من المنطق الخداع الذي يحاولون به تشكيكم في دينكم ويقصدون منه تسرب الشبه إلى نفوسكم (حسداً من عند أنفسهم) لأنهم كرهوا اعتناق الإسلام بِنِعاثِ نفسى هو الحسد إذ هم يتوقعون عظمتهم وعلو شأن الداعين له، ومن أجل هذا كانت أمنيته في الحياة انصرافكم عنه وزوال نعمته عنكم (من بعد ما تبين لهم) من انطباق ما جاء في كتبهم من صفات النبي المنتظر على هذا النبي الكريم أن دينه هو الدين (الحق)

ولولا أنهم عرفوا أنه الدين الحق لما تمنوا زوال نعمته عنكم ولما عملوا على ذلك بإيقاع الشبه في نفوسكم لترتدوا عن دينكم (فاعضوا) عن سيناتهم ولا تحاولوا الانتقام منهم على ما قالوا طالما تبين لكم أن منشأ ذلك هو الحسد الذي يأكل نفوسهم ، إذ الحسد آفة متمكنة من النفوس الدنيئة الضالة الضعيفة ولا قدرة لهم على ردها فلا ينبغي أن تؤاخذوهم عليه وارتكوا أمرهم إلى الله (واصفحوا) أى لا تقابلوا مطاعنهم بمثيلاتها (حتى يأتى الله بأمره) بأن يزيل ذلك الحسد من نفوسهم أو يمدكم بنصره ويميتهم بغیظهم (إن الله على كل شىء قدير) وما ذلك عليه بعزير (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وردوا عليهم ردًا فعلياً يشعرهم بعدم اكترائكم بأقوالهم وشدة تمسككم بدينكم بالصلاة والزكاة ، فهذا خير جواب لهم من شأنه أن يرد كيدهم في نحورهم (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) أى واعلموا أن كل ما تقدمونه لأنفسكم من خير سواء بالعفو والصفح وجميع أنواع ضبط النفس ، أو بالقيام بواجب الطاعات المطلوبة منكم كالصلاة والزكاة سيجزيكم عليه الله الجزاء الأوفى (إن الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شىء من أسراركم وجهركم .

### المغزى :

ينبه الله بهاتين الآيتين إلى ما يأتى :-

- (١) أن عداء اليهود للإسلام ناشىء في الأصل من الحسد فلا سبيل إلى زواله من قلوبهم .
- (٢) إن الحسد من الأمراض النفسية التي تحمل المرء على بذل الجهود في سبيل سلب النعمة عن المحسود وخير سلاح يوجه إلى صدر الحاسد هو المبالغة في إظهار النعمة المحسود عليها .

الحكم :

حرمة الحسد ، وندب العفو والصفح عن الحاسد .

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ  
 أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ  
 أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَاءُ عَلَى  
 شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَاءُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ  
 الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ  
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٢) .

اللفظ :

(هودا) جمع هائد، والمراد اليهود (نصارى) أتباع المسيح (أمانى)  
 ما يتمناه الإنسان، ويطلق أيضا على الكذب (هاتوا) أحضروا (برهانكم)  
 حججتكم (صادقين) محقين فيما تدعون (بلى) حرف تصديق مثل نعم  
 (أسلم) أخلص (وجهه) نيته (محسن) مجيد في عمله (أجره) ثوابه  
 (خوف) فزع (يحزنون) يتوجعون من الهم (يتلون) يقرءون  
 (الكتاب) التوراة والإنجيل (يعلمون) يعرفون (يحكم) يقضى ويفصل  
 (يوم القيامة) يوم البعث الموعود (يختلفون) يتنازعون .

## المعنى :

النوع الخامس من سيئات بني إسرائيل ومطاعنهم ضد الإسلام ما كان موجها إليه في مستقبل الإسلام والمسلمين، وذلك ما كانوا يعرضون به نحو الإسلام ومصير المعتنقين له بما يصرحون به جهارا أمام المؤمنين وحكى الله ذلك عنهم بقوله ( وقالوا ) أى كل من اليهود والنصارى ( لن يدخل الجنة ) فى يوم القيامة ( إلا من كان هودا أو نصارى ) دون سواهم ويقصدون التعريض بالمؤمنين ، وقد رد الله على ذلك بقوله ( تلك أمانهم ) يترجحون فيها أى إن تلك الدعوى لم تخرج عن كونها أمان باطلة لا تستند على شىء من الحقيقة ، ولأجل إقامة الحجة على كذبهم فى دعواهم قال تعالى ( قل ) لهم يا محمد ( هاتوا برهانكم ) على صحة ما تقولون ( إن كنتم صادقين ) فى دعواكم وإذا عجزوا عن تقديم البرهان ولأجل ألا يأسوا من رحمة الله عند عجزهم قل لهم يا محمد أيضا ( بلى من أسلم وجهه لله ) وأخلص نيته بأن وحده ولم يشرك به أحدا ( وهو محسن ) فى أعماله التى يتقرب بها إليه بأن تكون منطبقة على آخر شريعة أنزلت من عنده ( فله أجره عند ربه ) سواء كان من قبل يهوديا أو نصرانيا ( ولا خوف عليهم ) بسبب ما بدر منهم من قبل ، فالإسلام يجب ما قبله ( ولا هم يحزنون ) فى المستقبل على ما تخلوا عنه من آمال زائفة ثبت لهم بطلانها ( وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ) وقالت النصارى ليست اليهود على شىء أى بالرغم عن ادعائهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، فهم يتراشقون بالأقوال ويطعن كل منهم الآخر ويزعم أنه ليس على شىء يعتد به فى الدين الصحيح

( وهم يتلون الكتاب ) ويعلمون منه أن الأديان جميعها إنما تدعو إلى إله واحد وأن ما في الانجيل يؤيد ما في التوراة ولا يناقضه فلا معنى للزعم بأنه لم يكن على شيء بالمرة ( كذلك قال الذين لا يعلمون ) من مشركي العرب وغيرهم من أهل الملل الأخرى ( مثل قولهم ) بأن جعلوا الملة جنسية زعموا أنها هي المنجية لكل من انطوى تحت لوائها ورضى باسمها ولقبها . والحق وراء هذا لا يتقيد بأسماء وألقاب وإنما هو إيمان خالص وعمل صالح ( فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ) وسوف يريهم سبحانه وتعالى من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا ، وحينئذ يظهر الصادق من الكاذب والحق من الباطل .

## المفترى :

تدل هذه الآيات على أن الله يكره من الناس ما يأتي :-

(١) جعل الأديان جنسية يفرض لمعتنقها الجنة .

(٢) الطعن في الأديان من حيث هي أديان .

## الحكم :

يحرم الكذب والافتيات على الله، بالتحكم في مصير الأمم والأفراد في الحياة الأخرى من غير دليل ولا برهان .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ،  
وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ،  
لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) ،

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ  
وَسِيعٌ عَلِيمٌ (١١٥) .

## اللفظ :

(أظلم) أكثر جورا وانتقاصا للحق (منع) حال دونها (يذكر)  
يمجد (سعى) عمل (خرابها) عدم عمارها (خائفين) فزعين (خزى)  
ذل وإهانة (عذاب) كل ما شق على الانسان (عظيم) شديد (المشرق)  
جهة شروق الشمس (المغرب) جهة غروب الشمس (تولوا)  
تستقبلوا (ثم) اسم يشار به إلى البعيد بمعنى هناك .

## المعنى :

النوع السادس : من سيئات بني إسرائيل ضد الاسلام ما كان  
موجها إلى قبلته ، وذلك أنه لما حولت القبلة عن بيت المقدس التي كانت  
قبلة بني إسرائيل من قبل إلى الكعبة المشرفة شق ذلك عليهم فكانوا  
يمنعون الناس من الصلاة عند توجههم إلى الكعبة ولعلمهم سعوا أيضا  
إلى تخريب الكعبة وسعوا أيضا في تخريب مسجد الرسول لئلا يصلوا فيه  
متجهين إلى القبلة ، فعابهم الله بذلك وبين سوء طريقهم حيث قال  
(ومن أظلم ممن منع مساجد الله) من (أن يذكر فيها اسمه) أى عمل  
على منع الناس من التعبد فيها (وسعى) بذلك فى خرابها ، لأن منع  
الناس من التعبد فيها أكبر تخريب لها ، فعمارة المساجد إنما تكون  
بالعبادة لا بالبناء والتجصيص (أولئك) أى كل من صدر منه ذلك  
الأمر (ما كان لهم أن يدخلوها) أى تلك المساجد (إلا خائفين) من  
الإخراج بمعنى أنه لا ينبغي أن يمكنوا من الدخول إليها والاطمئنان فيها



( لهم في الدنيا خزي ) بعلو كلمة الله في المساجد رغم أنوفهم ( وهم في الآخرة عذاب عظيم ) عقابا لهم على صد الناس عن المساجد ( والله المشرق والمغرب ) أى الأرض جميعها من شرقها لغربها له سبحانه وتعالى ( فأينما تولوا ) أى فأينما جهة تولونها ( فثم وجه الله ) فى الواقع ونفس الأمر ولكنه بالنظر لأن وجه الله منزه عن المادة والجهة ، واستقباله بهذا المعنى مستحيل فقد عين سبحانه وتعالى للناس مكانا مخصوصا وشرع لهم استقباله فى عبادتهم إياه فمن الواجب عليهم الاتجاه إليه وما يكون لهم حق الاعتراض عليه ولا تخريب المساجد من أجله ( إن الله واسع ) لا يحدد ولا يحصر ( عليم ) بالمتوجه إليه أينما كان ، أى قاعد الله حيثما كنت وتوجه إليه أينما حملت .

ملغزى :

تدل هاتان الآيتان على ما يأتى : —

(١) إن من أشد المظالم منع الناس من عبادة الله فى بيوته ووضع العراقيل فى سبيلها .

(٢) إن من يميل على تخريب مساجد الله بصد الناس عنها لا ينبغى أن يمكن من الدنو منها .

الحكم :

يحرم صد الناس عن المساجد وتخريبها . واستنتج الامام مالك من قوله تعالى ( أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ) وجوب منع الكافرين من دخول المساجد . وقال الشافعى : إن المراد من المساجد

المسجد الحرام ، فحصر المنع بالحرم والمسجد الحرام فقط دون باقي المساجد . وقال أبو حنيفة : إن الجملة خبرية فلا يلزم منها وجوب منعهم من دخول المساجد ، واستتج الجميع من الآية الثانية الحكم بالتخيير في الاتجاه إلى أي جهة وقالوا إن هذا الحكم منسوخ بقوله تعالى : «فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» إلا في صورتين . إحداهما : صلاة التطوع على الراحة . وثانيتها : الصلاة في السفر عند تعذر الاجتهاد للظلمة أو لغيرها ، وأما على غير هاتين الصورتين فلا تخيير وهناك تفصيل في المذاهب .

وَقَالُوا اخُذْ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ . بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ  
وَالْأَرْضِ ، كُلُّ لَّهُ قٰتِلُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ،  
وَإِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) .

اللفظ :

(وقالوا) تحدثوا وقرئ (قالوا) بغير واو (اتخذ) صير (ولدا) يطلق على الذكر والأنثى والجمع (سبحانه) مصدر : بمعنى أزهه وأبرته من ذلك (قاتلون) ملازمون للعبادة وطاعة الله (بديع) موجد على غير سبق مثال (قضى) قدر (أمرًا) شيئًا (كن) صر (فيكون) فيصير ، وقرئ (فيكون) بالفتح .

المعنى :

النوع السابع : من سيئات بني إسرائيل ومطاعنهم ضد الاسلام وقد تبعهم فيها غيرهم من النصارى والمشركين - ما كان موجهًا إلى أساس

عقيدة التوحيد حيث أنكروا قوله تعالى «لم يلد ولم يولد» واعتقدوا غير هذا (وقالوا اتخذ الله ولدا) زعم اليهود أنه عزيز، وزعم النصارى أنه المسيح، وزعم بعض مشركي العرب أنه الملائكة وبنوا على ذلك حبهم لهم وتمجيدهم كتمجيد والدهم على زعمهم ودعائهم لقضاء المصالح وفي النابات، فرد الله على زعمهم بقوله (سبحانه) أى هو أجل من هذا، لأن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه في بعض المواقف وتؤمل منه المساعدة في حال عجز الأب عن بعض أموره، والله منزه عن كل هذا (بل له ما في السموات والأرض) ملكا وخلقاً ومن جملة ذلك من زعموه ولدا لله كعزيز وعيسى والملائكة (كل له قانتون) وهذا دليل على العبودية لا النبوة. يحكى عن علي بن أبي طالب أنه قال لبعض النصارى: لولا تمرد عيسى عن عبادة الله لصرت على دينه، فقال النصراني كيف تجوز نسبة ذلك إلى عيسى مع جده في طاعة الله، فقال رضى الله عنه إذا كان عيسى إلها كما تقولون فالإله كيف يعبد غيره؟ إنما العبد هو الذى تليق به العبادة، فأسقط في يده ولم يخر جوابا والله أعلم (بديع السموات والأرض) وإنما كان له ما في السموات والأرض، لأنه هو الخالق المبدع لها ولجميع ما فيها من أخضر ويابس وحيوان وغير حيوان، ولا يحتاج في إدارة كل ذلك إلى من يعينه على أمر من الأمور، إذ الكل طوع إرادته (وإذا قضى أمرا) فهذا لا يكلفه عناء في التفكير أو في اتخاذ الوسائل، بل إنه بمجرد تعلق إرادته به (فإنما يقول له كن فيكون) فيحصل في نفس اللحظة التى يعينها سبحانه وتعالى.

المفترى :

يحذر الله بهاتين الآيتين من مجازاة اليهود في مزاعمهم التى دخلت

على من بعدهم من النصارى ومشركي العرب حيث اتخذوا لله أبناء يحبونهم كحبه ويمجدونهم كتمجيده ويلجئون إليهم في الشدائد وينتظرون منهم قضاء الحوائج، وجاء الإسلام يحارب هذه الفكرة من أساسها ويأبى على الناس تقديس الأولياء والصالحين بل والأنبياء والمرسلين كتقديس الله وتوجيه الدعاء لهم كدعائهم له .

الحكم :

يجب تنزيه الله عن أن يكون له ولد . واستنتج العلماء من نبي النبوة لله بثبوت ملكيته لما في السماء والأرض حكما هو عتق الولد إذا ملكه أبوه ، وقضى النبي صلى الله عليه وسلم بعتق الوالد إذا ملكه ولده .

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ،  
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ ،  
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا  
وَنَذِيرًا ، وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩) .

اللفظ :

( يعلمون ) يعرفون ( يكلمنا ) يحدثنا ( تأتينا ) تجيئنا ( آية ) علامة  
( تشابهت ) تماثلت ، وقرئ\* ( تشابهت ) بتشديد الشين ( بينا ) أوضحنا  
( يوقنون ) يتثبتون ( الحق ) اليقين ( بشيرا ) ناقلا الخبر السار\* ( نذيرا )  
محذرا من الخطر ( تسئل ) يطلب منك الإجابة ، وقرئ\* ( ولا تسأل )  
( أصحاب ) ملازمين ( الجحيم ) كل نار شديدة اللهب .

المعنى :

النوع الثامن : من سينات بنى إسرائيل ومطاعنهم ضد الإسلام وقد تبعهم فيها غيرهم من المشركين ، ما كان موجها إلى الدعوة الإسلامية وذلك بالتشكيك في دعوة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ومطالبته في كل يوم بمختلف المعجزات ، وقد أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى بقوله ( وقال الذين لا يعلمون ) حقيقة التوحيد والنبوة من اليهود وغيرهم ( لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ) وقال في آية أخرى « يستلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، ومعنى هذا أنهم يريدون الاتصال بالبارئ جل وعلا مباشرة ومن غير واسطة رسول لعدم ثقتهم بجميع الآيات الدالة على رسالة هذا النبي الكريم ، بل هم يريدون آية يختصون بها ( كذلك قال الذين من قبلهم ) من آباؤهم الأولين ( مثل قولهم ) تعنتاً حيث قالوا لموسى « أرنا الله جهرة ، ( تشابهت قلوبهم ) في القسوة ولذلك كانت أسئلتهم وطلباتهم متحدة ، فقال تعالى ( قد بينا الآيات لقوم يوقنون ) أى إن الآيات التى أنزلناها وبيناها كافية لمن خلصت نيته وطلب الإقناع لحصول اليقين ؛ أما من جبل على العناد واستمر على المكابرة فسوف لا يعدم مختلف الأسئلة ؛ ولا سبيل إلى إقناعه لأنه لا يريد أن يقتنع وإنما يقصد التعنت والتعجيز ، فكلما أوجب على مطلب فكر في حاق وابتداع مطلب سواه وهكذا دواليك ، وسوف لا يرضيه شئ بالمرة ( إنا أرسلناك بالحق ) أى بالعقائد الصحيحة المقبولة عند كل ذى عقل سليم والمتجافية عن كل خرافة وتخيل ، لتكون ( بشيرا ) للطائعين بحسن الثواب ( نذيرا ) للبعاندين والعاصين بسوء المصير ( ولا تستل )

يا محمد (عن أصحاب الجحيم) أى فلا يسؤك تكذيب المكذبين الذين ارتضوا لأنفسهم بعد أن أوضحت لهم سبيل الجنة والنار أن يكونوا من أصحاب الجحيم .

المفردى :

تدل هاتان الآيتان إلى سنة من سنن الله فى خلقه ؛ هى أن من شأنه التشكك وطبعه العناد والمكابرة لا سبيل إلى إقناعه بالحق ولا ترجى هدايته وإنما تحصل الهداية لمن طلب معرفة الدليل ليقنع بالحق عن يقين .

الحكم :

يحرم التشكك فى آيات الله ومعجزات الرسل .

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ،  
قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي  
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَلَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرَ (١٢٠) الَّذِي  
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ  
يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) .

اللفظ :

( ترضى ) تقنع ( تتبع ) تنقاد ( ملتهم ) شريعتهم ( هدى ) البيان ( أهواء ) إرادة النفس وميلانها إلى ما تراتح إليه ( جاءك ) أتاك ( العلم )

إدراك الشيء على حقيقته (ولى) كل من ولى أمرك (نصير) معين  
(آتيناً) أعطينا (يتلون) يقرءون (حق تلاوته) على حقيقته (يؤمنون)  
يثقون (يكفر) يمحمد (الخاسرون) الذين أضاعوا أعمالهم .

المعنى :

بعد أن عدد الله نعمه على بنى إسرائيل وبين ما هم عليه من أخلاق  
وطبائع، وما اقترفوه من سيئات ومطاعن ضد الإسلام لا تدع مجالاً  
للطمع في إيمانهم ختم البحث بقوله (ولن ترضى عنك) يا محمد (اليهود  
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) والخلاصة أن اليهود والنصارى  
سوف لا يرضيهم منك شيء مهما حرصت على إرضائهم إلا أن تتبع  
ملتهم، وهذا ما لا يمكن أن يكون، لأن مهمتك في الحياة إنما هي إصلاحهم  
وهدايتهم لا العمل على إرضائهم، إذن (قل) يا محمد لمن حاول مفاحمك  
وإعجازك من اليهود والنصارى (إن هدى الله) الذى أدعو إليه  
(هو الهدى) الصريح الذى أنزل من عند الله وهو بين أيديكم فإن  
اتبعتموه فلکم أجرکم وإلا فعليكم يقع وزركم (ولئن اتبعت أهواءهم)  
أى ولئن حاولت أن تجاريهم فى الأخذ والرد والإجابة على كل سؤال  
يوجهونه إليك بالمطالبة بمعجزة تؤيد رسالتك (بعد الذى جاءك من  
العلم) بحقيقة أمرهم وأنه لا طمع فى إيمانهم وأنهم لن يرضوا عنك  
إلا أن تتبع ملتهم (مالك من الله من ولى ولا نصير) فشانك  
وشأنهم، لأن الله سوف لا يتولى تأييدك فى تحقيق ما يطلبونه منك  
ولا ينصرک عليهم بإقامة الحججة بالطرق التى يريدونها، وكن على ثقة بأن  
(الذين آتيناهم الكتاب) وهو القرءان وآمنوا بأنه من عند الله (يتلون)  
حق تلاوته) أى من شأنهم وواجبهم أن يحرصوا على تلاوته حق  
تلاوته بأن يدرسوه ويتدبروا أحكامه ولا يتقيدون فى ذلك برأى لا يدل

عليه القراءان ولا يتأولون كلمة صريحة أو معنى واضحاً (أو لك) هم الذين يملأ الله قلوبهم بالهدى ويشع عليهم النور الإلهي أثناء تلاوتهم لآياته لأنهم (يؤمنون به) حقاً بعد علم ريقين، وللقرءان تأثير في النفوس فعال لا يحصل من سواه، أما الذين لا يتلونه حق تلاوته ولا يدركون معناه ولا يتذوقون حلاوة طلاوته ولم يقفوا على كنهه ومرماه لأنهم لا يرون الحاجة إليه فشأنهم شأن الكافرين (ومن يكفر به) ممن يتصور أن القرءان إنما أنزل لمجرد التعبد بتلاوته فقط فلا يحرص على تدبر معانيه والعمل بأحكامه (فأولئك هم الخاسرون) الذين أضاعوا أوقاتهم في تلاوة القرءان دون الحصول على ثمراته التي من أجلها نزل وهي التي وضحها لنا الله بقوله: «ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب».

### المغزى :

تدل هذه الآيات على ما يأتي :-

- (١) أن العداوة الدينية متأصلة في النفوس متمكنة في القلوب لا يرضى صاحبها بغير ما يتدين به .
- (٢) أن البحوث في شأن العقائد الثابتة والأمور الدينية والتعبدية المحضة مع المتشككين المعتنتين قد ينتج عكس الغاية المطلوبة فيجب التسليم بأمرها من غير تعليل لها .
- (٣) أن القرءان حجة قائمة على من يتخذه ويتلوه لمجرد التعبد دون التدبر والعمل به .

### الحكم :

- (١) لا يجوز الدخول مع اليهود والنصارى في جدل ديني لا طائل تحته .
- (٢) يجب تدبر القرءان عند تلاوته .



يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْ كُرُمُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي  
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ  
نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ  
يُنصَرُونَ (١٢٣) وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ،  
قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ، قَالَ لَا يَنَالُ  
عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) .

## اللفظ :

لقد سبق معنى الآيتين الأولى والثانية عند ذكر الآية ٤٧ و ٤٨ من هذه السورة (ابتلى) اختبر، وقرىء (ابتلى إبراهيم ربه) أى دعاه، وقرىء (إبراهيم) (كلمات) ألفاظ ووصايا (أتمهن) أمضاهن على أكمل وجه (جاعلك) مصيرك (الناس) اسم وضع للجمع واحده إنسان (إماما) من يؤتم ويقتدى به (ذريتي) ولد الإنسان ونسله ، وقرىء (ذريتي) بكسر الذال (لا ينال) لا يعطى (عهدي) وفائى وضمانى (الظالمين) كل من يضع الشيء فى غير محله، وقرىء (الظالمون)

## المعنى :

بعد أن منع الله نبيه من مجازاة اليهود والنصارى فى طلباتهم وأمره أن يقول لهم « إن هدى الله هو الهدى » عاد يبين له وسيلة أخرى من وسائل الدعوة المشروعة حيث خاطب بنى إسرائيل بأسلوب آخر

فيه شيء من الترغيب ونوع من التأثير فذكرهم بنعمة من نعمه التي مرت من قبل حيث قال (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين . واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعته ، ولا هم ينصرون ) وقد سبق شرحهما من قبل في آيتي ٤٧ و ٤٨ .

ولما كان إبراهيم عليه السلام رجلاً يعترف له بالفضل في جميع الطوائف والملل وكان لليهود والنصارى والمشركون جميعاً يتشرفون بالانتماء إليه أراد سبحانه وتعالى أن يبين لليهود السر في فضله وعظمته وما قطع الله له من وعود سابقة ، ربما كان في ذكرها ما يحضهم على الاقتداء به في ثباته وعمله وقوة نفسه فعدد أسباباً جاء في مقدمتها قوله تعالى ( وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ) أى واذكروا إذ اختبر إبراهيم ربه اختباراً سرياً بكلمات ألقاها سبحانه وتعالى عليه ولكنه لم يبع بها لنا ، ولعلها تتعلق بأمور نفسية خلقية : كالثبات على المبدأ وعظيم الإيمان وقوة النفس ووافر التضحية ( فآتمهن ) أى فأداها حقها وبرع فيها براعة منقطعة النظير ، وتكاد تكون فوق طاقة البشر حيث جاهد في سبيل معرفة الله أعظم جهاد وآمن بالله عن طريق آياته الكونية وعمل على نشر الدعوة إلى التوحيد ولم يعبأ في ذلك بأبيه وقومه وهو وحيد لا ناصر له ولا معين ، واستطاع أن يملك نفسه ويصونها من الخوف من غير الله حتى وهو بداخل النيران ، وعمل على إرضاء ربه حتى بذبح ثمرة قلبه لإسماعيل لمجرد رؤية منامية خطرت له لولا أن فداه الله بالذبح العظيم ، فلا غرو إذا ما نال تقدير العزيز العليم ( قال ) الله له ( إني جاعلك للناس إماماً ) قدوة صالحة للبشر كافة ومثلاً عالياً

في الثبات والإيمان والصبر والتضحية. والجهاد في سبيل الله بل وفي كل الأخلاق الفاضلة والأعمال المجيدة ( قال ) إبراهيم ( ومن ذريتي ) أي واجعل اللهم من ذريتي أيضا من يخلفني ويكون القدوة الصالحة للناس من بعدى على مدى الأزمان ( قال لا ينال عهدى الظالمين ) فأجابه الله بأن هذا الأمر لا ينال إلا عن جدارة واستحقاق، فمن عمل بعملك وسار على منهاجك كان أهلا لأن ينال ما نلت، ومن حاد عن طريقك وكان من الظالمين فلا يمكن أن يتبوأ مركزك فيكون قدوة للناس في هذه الحياة .

المغزى :

ينبه الله بنى إسرائيل بأن السر في عظمة إبراهيم هو ما كان عليه من قوة الإيمان وكمال الطاعة وعظيم الإرادة ووافر التضحية، وقد قضت سنة الله في خلقه أن مثل هذه الصفات من شأنها أن تكسب صاحبها الرفعة وحق الزعامة وبالعكس، فإن التجرد من مثل هذه الصفات مما يدعو إلى التأخر ويوجب الذلة والهوان .

الحكمم :

- (١) يجب تذكر نعم الله وشكرها .
- (٢) يجب الخوف من الله وتذكر الآخرة .
- (٣) يجب أخذ العظة من مواقف إبراهيم المشرفة .
- (٤) استنتج العلماء من قوله تعالى ( لا ينال عهدى الظالمين ) حكما هو أنه يشترط في الإمام أن يكون عادلا، وأن الظالم لا يجوز أن يولى أمور المسلمين، ولا تجب طاعته، ولا تنفذ أحكامه، ولا تقبل شهادته ولا فتياه، ولا يقدم للإمامة فلا يؤتم به .

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا، وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ  
 إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ  
 لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَفِّينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥).

اللفظ :

(جعلنا) صيرنا (البيت) البيت الحرام (مثابة) مجتمع الناس  
 وقرى (مثابات) (أمنا) اطمئنانا (اتخذوا) بكسر الخاء على صيغة  
 الأمر: صيروا، وقرى (اتخذوا) بفتح الخاء على صيغة الماضي بمعنى  
 جعلوا (مقام إبراهيم) الصخرة التي كان يقوم عليها عند بناء الكعبة  
 (مصلى) موضع الصلاة (عهدنا) أوصينا (طهرا) نزها (بئتي) بفتح  
 الياء الأخيرة ، وقرى (بئتي) بإسكانها المكان التي نسبته الله إليه  
 (الطائفين) الدائرین حول البيت (العاكفين) اللابثين في المسجد (الركع  
 السجود) المصلين .

المعنى :

الثاني من فضائل إبراهيم تطهيره البيت الحرام من كل ما لا يليق  
 بكرامته حيث قال تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) أى واذكر  
 أننا اتخذنا بيتنا لنا نسبناه إلينا لأجل أن يكون موردا يرجع الناس إليه  
 كلما أرادوا الوصول إلينا أو النزول بساحة كرمنا لقضاء حوائجهم  
 ولتحقيق رغائبهم (وأمنا) لكل لاجئ من أمر دهاه أو عائد من  
 ذنب اقترفه وأتاه، فمن جاءه ملتجئا خاضعا تابئا راجيا عفوره واثقا

بقدرته على إعطائه ما يريد وتأمينه مما يخاف بلغناه مناه ويسرنا له من السبل ما يجعل له من أمره فرجا ومخرجا ( واتخذوا ) أى أمرناهم أن يجعلوا ( من مقام إبراهيم مصلى ) يقفون حوله ويتجهون اتجاهه لأداء عبادتهم ورفع دعواهم ( وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ) وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بـ ( أن تطهرا بيتى ) أى استبعدا منه ومن حوله كل ما لا يليق أن يكون بجواره من الرجس الحسى والمعنوى كالأصنام وعبادة غير الله، والمراد بالبيت المكان الذى نسهب الله إليه وسماه بيته وأمر الناس بالتوجه إليه لحكمة عظمى: هى أنه لما كان البشر لا يتيسر لهم ولا يمكنهم التوجه إلى موجود غيبى مطلق لا يتقيد بمكان ولا ينحصر فى جهة سهل الله لهم سبيل ذلك بأن جعل فى هذا المكان رمزا ومقصدا يمكن حصر الاتجاه إليه والوقوف فى فئائه لطالب الرحمة والرضوان ، ومن أجل هذا جعله الله مثابة للناس وأمنا وكعبة (للطائفين) حولها (والعاكفين) الجالسين والقائمين بجوارها ( والركع السجود ) من المصابين ، وأمر نبيه إبراهيم أن يطهره لهؤلاء حتى يستطيعوا أن يؤدوا عباداتهم بكل حرية آمنين على أنفسهم ودمائهم وأموالهم .

المفردى :

ينبى الله بنى إسرائيل إلى أن هذا البيت الذى لا يريدون التوجه إليه هو الذى اختاره الله ليكون مثابة للناس وأمنا، وأن إبراهيم هو الذى تولى تطهيره من الأصنام بأمر ربه وتوجه إليه فى صلته، وكان الناس فى عهده يصلون حول مقامه ويتجهون كاتجاهه ويتعبدون فى تلك الجهة كعبادته وقد اتبعه رسول الله فى هذا وتلاهذه الآية ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) .

الحكم :

حرمة ترويع الأمنين في الحرم ، ووجوب تسهيل مهمة الطائفين  
والعاكفين والمصلين ، وندب الصلاة حول مقام إبراهيم وفي المواضع  
التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم قياسا على ذلك .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ  
مِنَ الشَّجَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ وَمَنْ  
كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ  
الْمَصِيرُ (١٢٦) .

اللفظ :

( اجعل ) صير ( ارزق أهله ) أوصل إليهم الرزق ( الثمرات )  
طرح الشجر ( كفر ) جحد ( أمتعته ) بفتح الميم ، وقرىء ( أمتعته ) بسكونها  
أصيره يلتذ وينتفع ( أضطره ) الاضطرار : فعل الشيء بعامل مؤثر  
لا يقاوم ( عذاب النار ) آلامها ( يتس ) فعل ماض جامد للذم ( المصير )  
نهاية الشيء .

المعنى :

الثالث من فضائل إبراهيم أنه عندما علم بأن الله جلّت قدرته قد  
جعل هذا البيت مثابة للناس وأمنا دعا ربه أن يكون للبلد الذي يحيط  
بالبيت حرمة وقدسيته وأن يكون لأهله الساكنين إلى جواره ميزة

في الرزق تجبهم الإقامة فيه حيث قال (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) من رجس الأصنام وعبادة الأوثان حتى تخرج الناس من غياهب الشرك وبواعث التفرقة والزيغ وتوجه إلى بيتك الحرام وحده (وارزق أهله من الثمرات) ثمرات كل شيء ينفع به مما هم في حاجة إليه في الدنيا، ويدخل ضمن ذلك زيارة خيار الناس لهم الذين يعدون في بني الإنسان بمثابة الثمرات، وفي الآخرة بتمتعهم بنتائج عباداتهم (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) أى وخص اللهم بهذه الميزة المؤمنين منهم دون الكافرين (قال) الله تعقيا على دعوته (ومن كفر) منهم سوف لا أحرمه من نعمة الرزق فذلك من حقه في الحياة ولكنى أرزقه (فأمتعه) في الحياة الدنيا فقط (قليلا) إذ أن متاع الدنيا قليل (ثم أضطره إلى عذاب النار) أى أسوقه يوم القيامة إلى عذاب النار سواضا اضطراريا لا اختيار فيه نتيجة ما قدمت يدها في الدنيا وجزاء على الكفر عملا بسنة الله في خلقه التي تقضى بأن لأعمال البشر الاختيارية غايات وآثار اضطرارية تنتهى إليها كارتباط الأسباب بالمسيبات (وبئس المصير) أى وحسبه جزاء أن يكون هذا مصيره في الآخرة .

المغزى :

ينبه الله بنى إسرائيل إلى أن هذه البلدة التي فيها قبلة الإسلام اليوم قد تطهرت عن الأصنام وتيسر أمر الاتجاه إليها والمعاش فيها للناس بسر دعوة إبراهيم .

الحكمم :

وجوب إقصاء المعابد غير الإسلامية عن أرض الحرم .

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا  
 تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا  
 مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ  
 عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ  
 رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
 وَيُزَكِّيهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩).

اللفظ :

(يرفع) يعلى (القواعد) الدعائم والأسس (البيت) الكعبة (ربنا)  
 مريننا ومالكنا (تقبل) ارض عن عملنا (السميع) الثابت له صفة  
 السمع (العليم) الثابت له صفة العلم (اجعلنا) صيرنا (مسلمين) المسلم  
 المنقاد الطائع، وقرى (مسلمين) بصيغة الجمع (أرنا) بكسر الراء وقرى  
 (أرنا) ياسكانها: علمنا (مناسكنا) أعمال العبادة (تب) حل بيننا وبين  
 المعصية (التواب) كثير التوبة (الرحيم) اثبات له صفة الرحمة (ابعث)  
 أرسل (رسولا) من يبلغ الأوامر (يتلوا) يقرأ (آياتك) الجمل من  
 القران (يعلمهم) يفهمهم (الكتاب) المنزل من عند الله (الحكمة)  
 صواب الأمر وسداده (يزكهم) يظهرهم (العزير) الذي لا يغالب  
 (الحكيم) العالم بحقائق الأمور .

المعنى :

الرابع من فضائل إبراهيم أنه عندما علم بأن الله قد اتخذ له في هذه



البقعة المشرفة بيتاً يرجع الناس إليه عمل على بناء قواعده لئلا يخفى موضعه وتلتبس حدوده وتلاشى آثاره ، فسجل الله له هذا العمل الصالح حيث قال ( وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ) للدلالة على موضعه وضبط حدوده ( وإسماعيل ) وكان يعينه في أمر البناء ابنه اسماعيل ، وكان يدعو الله في أثناء البناء بثلاث دعوات :

الأولى ( ربنا تقبل منا ) عملنا هذا ، وهو رفع القواعد من البيت بالنسبة لما نقصده من تعيينه للناس كي يتوجهوا إليك ( إنك أنت السميع ) لدعائنا ( العليم ) بأعمالنا المطلع على مقاصدنا .

الثانية هي ( ربنا واجعلنا مسلمين لك ) مستسلمين متقادين لك دون غيرك راضين بما توجهه علينا ( ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ) واجعل من ذريتنا أمة مسلمة ، تصدق بكل ما يخبرها به رسلك من أسرار غيبك ، وتأتمر بما يأمرونها به وتنتهي عما ينهونها عنه ( وأرنا منا سكناً ) ما تريد فرضه علينا من العبادات التي ترضيك عنا ( وتب علينا ) وفقنا للتوبة من كل ذنب اقترفناه ( إنك أنت التواب ) ملهم التوبة ومقدرنا عليها ( الرحيم ) مصدر الرحمة والإحسان .

الثالثة هي ( ربنا وابعث فيهم ) أى في ذريتنا عند ما يكثر من رسولنا منهم يتلوا عليهم آياتك ( الدالة على وحدانيتك وصدق رسلك ) ويعلمهم الكتاب ( الذى ينزل عليه وهو القرآن ) والحكمة ( التى يعلمون بها أسرار الأحكام الدينية ومقاصدها ، وهى التعاليم المحمدية ) ( ويزكيهم ) يطهر نفوسهم من الأخلاق الذميمة والعبادات السيئة بما يطبعه فيها من حسن الخلق وعلو النفس وحب الخير ( إنك أنت العزيز ) الذى لا يعجزه شئ ( الحكيم ) الذى لا يخفى عليه شئ مما كان أو يكون .

## المفردى :

ينبه الله بنى إسرائيل بهذه الآيات إلى ما يأتى :-

(١) أن هذا البيت الذى يأبون الاتجاه إليه قد بنى قواعده إبراهيم وإسماعيل دلالة للناس على بيته الذى اختاره لأن يكون قبلة المسلمين .

(٢) أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان طلبا من الله إيجاد أمة مسلمة .  
 (٣) أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان طلبا من الله أن يرسل لهذه الأمة رسولا من نسلهما لامن ذرية إسحاق، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى » .

(٤) إن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان طلبا من الله وضع أسس ودعائم الأمة الإسلامية التى تتلخص فى تلاوة الكتاب وتبليغه وتعليمه للناس وإرشادهم إلى ما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة ، وتطهير نفوسهم بمكارم الأخلاق وحب الخير والإحسان .

## الحكم :

وجوب تقدير العاملين لصدق أعمالهم والإقرار بالفضل لذنوبه .

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ  
 اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٣٠) إِذْ قَالَ  
 لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا

إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ ، إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا  
عُوتَىٰ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) .

## اللفظ :

(يرغب عن) يعرض عن (ملة) شريعة (سفه) بكسر الفاء، وقرىء  
«سفه» بتشديد الفاء، والسفه: بذاءة اللسان وسوء الخلق (اصطفيناه)  
اخترناه (الصالحين) القائمين بما يجب عليهم (أسلم) انقاد (ووصى)  
وقرىء (وأوصى) أمر (يعقوب) بضم الباء، وقرىء بفتحها عطفا على  
بنيه وهو ابن اسحاق بن إبراهيم .

## المعنى :

بعد أن أخبر الله بنى إسرائيل بأن إبراهيم ذلك الرجل المحبوب  
عند الجميع والذي يسرون هم بالانتساب إليه هو الذى بنى قواعد البيت ،  
وهو الذى دعا بإيجاد أمة مسلمة وبعثة نبي من نسل إسماعيل « وهذا  
أمر لا بد وأنهم على علم من صدقه من كتبهم السابقة ولولا ذلك  
لكذبوه ونقل إلينا خبره » قال فى صراحة (ومن يرغب عن ملة  
إبراهيم) أى ومن من الناس لا يرضى بملة ارتضاها لهم إبراهيم ودعا  
لتأييدها ذلك الرجل الحكيم الذى نال من ربه شرف الإمامة للبشر كافة  
لثباته على دينه ونشر دعوته ، وقوة إرادته فى نفسه لإرضاء ربه ،  
لا يمكن أن يرفضها ويعرض عنها (إلا من سفه نفسه) من حكم على  
نفسه بالسفه والحماقة ، لأنه لو لم يكن كذلك واعتقد فى نفسه العلم  
والرشد لبحث الأمر وتدبر هذا القرءان وقابل بين تعاليمه وما دعا به

إبراهيم فإذا وجدها مطابقة للقرءان اتبعه وآمن به وإلا فلا. وأما الرضى لأول مرة ومن غير تدبر فتلك حماقة وسفه مستحكم (ولقد اصطفيناه) أى إبراهيم (فى الدنيا) وجعلناه قدوة للناس كافة وجعلنا فى ذريته الكتاب والنبوة (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) وهذه شهادة أخرى من ربه له فما يكون لأحد بعدها أن يرغب عن ملته، وحسبه نبلا ما كان منه (إذ قال له ربه أسلم) أى بما أراه من الآيات الكونية التى أرشدته إلى وجود رب واحد منفرد بالخلق والتدبير، وحاجه قومه فبههم بفصاحة بيانه وقوة حجته وأدلتة (قال أسلمت لرب العالمين) أى إنه عند ما ألقى نظره إلى هذه الكائنات الدالة على عظمة خالقها سمعها كأنها تنادى وتدعوه إلى الإسلام فلم يتردد أن قال «أسلمت لرب العالمين» وعمل على نشر الدعوة للإسلام إلى آخر لحظة من حياته (ووصى بها) أى بكلمة «أسلمت لرب العالمين» (إبراهيم بنيه) أى ووصى بنيه بالتمسك والمحافظه على ما يقتضيه مدلولها من الانقياد التام والطاعة المطلقة والتسليم لله من غير ريب ولا تردد (ويعقوب) أى وكذلك وصى إبراهيم بها مع بنيه نافلته يعقوب على قراءة من نصب يعقوب فإنها أوفق لأنه قد نص على ذكر وصية يعقوب لأبنائه فيما بعد (يا بنى إن الله اصطنى لكم الدين فلا تموتن إلا وأتم مسلمون) هذه هى وصية إبراهيم لبنيه وناقلته يعقوب بأن يكونوا ملازمين للدين فى كل لحظة فإن المرء لا يأمن من القضاء فى كل طرفه عين .

المغزى :

يبين الله لبنى إسرائيل ما يأتى :-

- (١) إن من الخطل في الرأي والسفه في الفهم أن يعرض المرء عن ملة لا علم له بحقيقتها ولا بتعاليمها ولم يقف على كنهها .
- (٢) أن سرعة عظمة إبراهيم واصطفاء الله له جاءت من ناحيتين : الأولى : لأنه أسلم وجهه لله بعد جهاد عظيم بمعرفة ربه عن طريق أسرار الكائنات ومعائب المخلوقات .
- الثانية : لأنه حافظ على دينه وعمل على تنفيذ تعاليم ربه لآخر لحظة في حياته ووصى أبناءه بتأييد دعوته وإعلاء شأن شريعته من بعده .

الأسرار :

وجوب اتباع ملة إبراهيم والتمسك بوصيته والاقتران به في وصية الأبناء بالمحافظة على الدين الإسلامي .

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ، إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ، قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) .

اللفظ :

(شهداء) حاضرين (حضر) جاء ، وقرئ بكسر الضاد (الموت)

إزهاق النفس ( تعبدون ) تدعون وتعظمون ( إلهك ) معبودك ( إله  
آبائك ) وقرى ( إله أبيك ) ( مسلمون ) منقادون ( خلت ) مضت  
( كسبت ) جمعت ( تسئلون ) تطالبون ( يعملون ) يفعلون .

المعنى :

بعد أن أخبر الله بنى إسرائيل بما كان من وصية إبراهيم لنافلته  
يعقوب قال لهم ( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ) أى هل  
سمعتم بأمر هذه الوصية ، أم هل شهدتم بالذات أو بواسطة آبائكم يوم  
وفاة يعقوب ( إذ قال لبنيه ) الأسباط ( ما تعبدون من بعدى ) أى لمن  
تلتجئون ومن تدعون من بعدى ( قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم  
وإسماعيل وإسحاق ) أى ندعو بمثل ما كان يدعو آباؤك ونلجأ إلى من  
كانوا يلجئون إليه ( إلهها واحدا ) لا نعبد غيره ولا نشرك معه سواء  
( ونحن له مسلمون ) طائعون منقادون ( تلك أمة ) أى هذه وصية  
يعقوب لأبنائه ، وتلك أمة ( قد خلت لها ما كسبت ) من عمل تجزى به  
( ولكم ما كسبتم ) من عمل ستجزون به ولا يجزى أحد بعمل غيره  
( ولا تسئلون عما كانوا يعملون ) أى ولا يسئلون عن أعمالكم فلا  
ينتفع أحد منكم بعمل غيره ولا يتضرر منه .

المفردى :

نبه الله اليهود بهاتين الآيتين إلى ما يأتى :—

(١) إن يعقوب جدهم أو صاهم باتباع ملة إبراهيم التى كان عليها والتي  
دعا ربه أن يحييها على يد واحد من نسل إسماعيل وأنه أخذ  
عليهم بذلك عهدا عند وفاته .

(٢) لا يكفي في الإيمان مجرد تقليد الآباء بل لابد فيه من القناعة بثبوت الوحدانية لله وحده ونفي العبادة عن سواه .

(٣) أن الأبناء لا يثابون على طاعة الآباء ولا يعذبون بكفرهم، فيجب أن يمحوا من أذهانهم فكرة الاعتماد على صلاح آبائهم، وأنه لا يعذب في النار إلا من عبد آباؤه العجل على زعمهم .

الحكم :

يجب أن يتبع المرء إيمانه بالعمل الصالح، واستتج العلماء من قوله تعالى (إلهك وإله آباءك) حكماً هو أن الجد يعتبر أباً، ويترتب على هذا أنه يجب الإخوة والأخوات للأب والأم وأولاد من الميراث، وهذا قول أبي بكر الصديق وابن عباس وعائشة رضى الله عنهم، وتابعهم في ذلك أبو حنيفة . وقال آخرون إنه لا يعتبر أباً فلا يحجبهم وإنما يرث معهم، وهذا قول عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضى الله عنهم، وتابعهم فيه الشافعى ومالك وأبو يوسف ومحمد، وقال الشافعى: إن للجد حق الاختيار إما المقاسمة معهم أو ثلث جميع المال ثم الباقي للإخوة والأخوات «للمذكر مثل حظ الأنثيين» .

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرًا تَهْتَدُوا، قُلْ بَلْ مِلَّةَ  
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ  
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ

مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ  
 ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ  
 فِي شِقَاقٍ ، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ  
 اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ، وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) .

اللفظ :

(هودا) جمع هائد : اليهود (نصارى) أتباع عيسى (تهتدوا) تصلون  
 إلى الطريق المستقيم (ملة): شريعة، وقرى (ملة) بضم التاء (حنيفا) الحنيف  
 المائل ولقب إبراهيم بذلك لأنه مال بمفرده عن الطريق التي كان عليها  
 قومه وهي الكفر إلى الإيمان ، لذلك أطلق الحنيف في اللغة على كل من  
 كان على دين ابراهيم (المشركين) الذين يعملون مع الله إله آخر  
 (أنزل) جاء من أعلى (الأسباط) جمع سبط ، وهو ابن الابن (نفرق)  
 انفصل (مسلمون) متبعون دين الإسلام (اهتدوا) سلكوا الطريق  
 (تولوا) أعرضوا (شقاق) تخالف (يكفيكهم) يمنع عنكم أذاهم  
 (صبغة) ما يلون به (أحسن) أجمل (عابدون) خاضعون .

المعنى :

بعد أن ذكر الله بني إسرائيل بفضائل إبراهيم عرض بذكر أنواع  
 من الشبه التي يروجونها ضد الإسلام ، فحكي عنهم أولا ما يقولونه من  
 أقوال لا مستند لهم فيها إلا مجرد إصرارهم على تقليد آبائهم حيث قال  
 (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) فأجابهم على هذا سبحانه



وتعالى بقوله ( قل بل ملة إبراهيم ) أى فإن كان ولا بد من تقليد الآباء من غير تدبر فإن ملة إبراهيم أحق بالتقليد ، لأنه رأس السلالة وملته لا نزاع أنها ملة قائمة على أساس صحيح ، وقد كان إبراهيم ( حنيفا ) متجافيا عن كل دين لا صحة له ( وما كان من المشركين ) ولم يكن بالذى يشرك مع الله إلهها آخر بل كان يدعو إلى الصراط السوى ( قولوا ) أى وهذا لا يكلفكم إلا أن تقولوا ( آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ) فكل هؤلاء آباؤكم وتقليدهم أفضل من تقليد غيرهم والإيمان بهم إيمان بالله ( وما أوتى ) أى وقولوا أيضا آمنا بما أوتى ( موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ) من الكتب جميعها ( لا نفرق بين أحد منهم ) فلا ينبغي أن نؤمن ببعضهم دون البعض الآخر لأنهم جميعا داعون إلى توحيد الله لا إلى آلهة متعددة. ( ونحن له مسلمون ) وهذا هو المنطق الصحيح والقول العدل ما دتم تعترفون بوجود الله والرسالة ، اللهم إلا إذا كنتم تقولون إنكم لا تعبدون إلا موسى بشخصه أو أنكم لا تسلمون بوجود الله فتلك مسألة أخرى ( فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ) من الإيمان بالله وحده وبجميع الكتب المنزلة والرسل أجمعين ( فقد اهتدوا ) أى فقد انفقوا معكم فى الإيمان لأن الإسلام لا يدعو لغير هذا ( وإن تولوا ) عن الاتفاق معكم على هذا الأساس والرجوع إلى أصل دين الأنبياء ( فإنما هم فى شقاق ) أى فاعلموا أنهم يبيتون لكم العداة وسيعملون على مخالفتكم بشتى الوسائل ولكن لا أهمية لهم ( فسيفيكمهم الله ) أى سيفيكمهم الله إيذاءهم ويؤيد دعوتكم وينصركم عليهم مادتم مؤيدين لهذا الدين وعاملين على رفع مناره ( وهو السميع ) لأقوالهم ( العليم ) بما يبيتون ، وحسبكم

أن ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله وما أنزل على الرسل كافة ما كان إلا (صبغة الله) التي تكسب المتمسك بها صبغة ثابتة لا تتغير (ومن أحسن من الله صبغة) فكل صبغة معرضة للتبديل والتغيير إلا صبغة الله فهي ثابتة (ونحن له عابدون) أى وما دمننا عابدين له فما أحرانا أن نصبغ بصبغته ونكون أهلائلته التي كان عليها .

المعزى :

تدل هذه الآيات على ما يأتى :-

- (١) لا ينبغي أخذ عقائد الدين من غير الأنبياء والمرسلين .
- (٢) أن من تمسك بالدين أو بالحق واعتم بصبر الصدق لا يضره تألب الظالمين عليه .

الحكم :

وجوب نشر الدعوة الإسلامية بمختلف الأساليب والألوان والحجج والبراهين سواء قبلت أو لم يؤخذ بها .

قُلْ أَتَحْجُونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلِكُمْ، وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى، قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ

اللَّهِ، وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا  
مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ (١٤١).

## اللفظ :

(تحتاجونا) تجادلونا (أعمالنا) مانصنعه (مخلصون) سالمون من  
الشوائب (تقولون) تتحدثون، وقرى<sup>٥</sup> (يقولون) (أظلم) أكثر  
انتقاصا للحق (كتم) أخفى (شهادة) الخبر القاطع (غافل) ساه وتارك  
(خلت) مضت (كسبت) جمعت (تسئلون) تطالبون (يعملون)  
يصنعون، وقرى<sup>٥</sup> (يعلمون).

## المعنى :

النوع الثاني من الشبه التي كان يرجوها خصوم الإسلام الطاعنون  
فيه وفي مقدمتهم بنو إسرائيل زعمهم أنهم أولى الناس بالحق والنبوة لتقدم  
النبوة فيهم ولأنهم أبناء الله وأحباؤه، فأمر الله نبيه بأن يقصر البحث  
معهم في مثل هذه الادعاءات بقوله تعالى (قل أتحتاجونا في الله)  
تجادلونا في أن الله اصطفى رسوله من العرب دونكم وتقولون إن النبوة  
خصت فيكم (وهو ربنا وربكم) والحال أنه لا دليل لكم على هذا فهو  
ربنا كما هو ربكم ولا دليل على إثباتكم بالنبوة دوننا (ولنا أعمالنا ولكم  
أعمالكم) أي وكما أنكم تعبدونه فنحن أيضا نعبده (ونحن له مخلصون)  
أي ونمتاز عليكم بإخلاص العبادة لله وحده ولا غاية لنا غير رضاه

بخلافكم أتم، والدليل على ذلك أنكم لا تدعون بالرسالة ولا تتبعون من الأنبياء إلا من يروق لكم ومن يكون منكم على زعمكم، وفي هذا ما فيه من الأنانية وعصية الجاهلية بينما تؤمن نحن بجميع الأنبياء والرسول باعتبارهم رسلا من عند الله سواء كانوا منا أو منكم .

النوع الثالث من الشبه التي كان يروجها خصوم الإسلام الطاعنون فيه وفي مقدمتهم بنو إسرائيل زعمهم أن إبراهيم وأبناءه كانوا على ملتهم فعرض الله سبحانه وتعالى بزعمهم هذا حيث قال ( أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ) وهو زعم ظاهر الفساد من تلقاء نفسه فكيف يكون المتقدم معتقدا لليلة المتأخر ومع ذلك فقد رد الله عليهم بقوله ( قل ) يا محمد ( أأنتم أعلم أم الله ) أى فإن قالوا بأن الله أعلم منهم فقد وجب أن يصدقوا ما أخبروا به على لسان إبراهيم ، وإن قالوا بأن الله قد أخبرهم بغير هذا فليبرهنوا على دعواهم وليقدموا ما لديهم من شهادة ( ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ) أى وإن كتموها ولم يصرحوا بها اعتبروا من الظالمين ، لأن كتمان المرء الشهادة من حيث هى ظلم ، فكيف بها إذا كانت بشيء صدر من الله ومن الواجب إذاعته فى خلقه ( وما الله بغافل عما تعملون ) أى وقل لهم يا محمد إن الله ليس بغافل عن هذه المناورات وهذا التعسف الذى لا مقصد لكم فيه إلا التخلص من اتباع هذا الدين القويم ( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون ) أى واقصروا البحث فى وصف أولئك الأنبياء وانظروا فيما دعا إليه محمد بن عبد الله فإن ذلك أجدى لكم وأنفع فإنكم لا تسألون يومئذ إلا عن ما كنتم تعملون .

المفترى :

تحذرنا هذه الآيات من عدة أمور :

- (١) التحكم في توجيه فضل الله إلى أمة أو شخص بغير دليل منه .
- (٢) التسرع في إصدار الأحكام بدون ثبوت ومن غير علم صحيح .
- (٣) كتمان الشهادة وعدم الإقرار بالحق .
- (٤) الخوض في شأن الأنبياء والرسل السابقين .

الحكم :

وجوب الاتباع والتقييد بما جاءنا من عند الله في كل أمر وعدم جواز الخوض فيما لا علم لنا به .

بحمد الله وحسن توفيقه قد كمل طبع الجزء الأول من تفسيرنا هذا في غرة شهر رمضان المبارك سنة ١٣٦٦ هجرية الموافق ١٩ من شهر يوليو سنة ١٩٤٧ ميلادية وسيصدر الجزء الثاني إن شاء الله تعالى في أوائل شهر شوال من عامنا هذا وبه دليل القبلة من عموم البلاد والله ولي التوفيق ؟

المؤلف

الخطيب

## فهرس الجزء الأول

الصفحة	موضوع البحث	الصفحة	موضوع البحث
٢٨	القوى الخفية وكلام الله	٢.	تقرب
٣٠	المخترعون في كلام الله	٣	هذا بلاغ
٣١	التفكير في آيات الله	٤	مقدمة
٣٢	القوى الفعالة في كلام الله	١٥	حقيقة القرآن ومعجزاته
٣٣	صلة العبد بالله	١٦	القرآن كلام الله
٣٤	محبة العبد لله	١٧	وسيلة النطق بكلام الله
٣٦	تقوى الله	١٨	العقيدة في كلام الله
٣٦	الإخلاص لله	١٩	الاستواء في كلام الله
٣٧	وسائل الرزق في كتاب الله	٢٠	العلو في كلام الله
٣٨	الدعاء في كلام الله	٢٠	الصفات في كلام الله
٣٩	الثقة بالله	٢٢	الرسول وكلام الله
٤١	تجنب الشك	٢٢	الصحابة وكلام الله
٤٢	تكرار الدعاء	٢٣	الأولياء وكلام الله
٤٣	ترقب الإجابة	٢٤	المجتهدون وكلام الله
٤٥	بذل الجهود	٢٤	السنة وكلام الله
٤٥	حضور القلب	٢٥	هدى القرآن
٤٦	وجوه التفسير	٢٦	دروس العلم في كلام الله
٤٩	سورة الفاتحة	٢٧	الآيات الكونية في كلام الله
٥٥	مقاصد الفاتحة	٢٧	هداية الرسل وكلام الله

الصفحة	موضوع البحث	الصفحة	موضوع البحث
١١٠	طلب بني إسرائيل المستحيل	٥٧	سورة البقرة
١١٤	تبديل بني إسرائيل كلام الله	٥٧	أسماء السور
١١٧	تفضيل بني إسرائيل للأدنى	٥٨	المتأهلون للهداية
	دون الأعلى	٦٢	من لا أمل في هدايتهم
١٢٢	إيمان بني إسرائيل كان قسراً	٦٥	المنافقون
١٢٤	حيل بني إسرائيل	٧٤	الدعوة إلى الله
١٢٦	تردد بني إسرائيل في تنفيذ الأوامر	٧٨	الإيمان بالقرآن والرسول
١٢٩	تشكك بني إسرائيل في علم الله بالحقائق	٨١	الجنة وثمراتها
١٣٣	تعهد بني إسرائيل تحريف الكتاب	٨٣	مضرب الأمثال في القرآن
١٣٣	إظهار بني إسرائيل ما لا يبطنون	٨٥	من هم الخاسرون؟
١٣٣	تمسك بني إسرائيل بالظنون والأوهام	٨٨	تطورات الحياة والموت
١٣٧	تحكم بني إسرائيل في مصيرهم	٨٨	تسخير الكائنات للإنسان
١٤٠	عدم تمسك بني إسرائيل بشريعتهم	٩١	خلاقة آدم في الأرض
١٤٢	كبرياء بني إسرائيل	٩٢	أول درس من الخالق للمخلوق
١٤٣	تناقض بني إسرائيل في الأقوال والأفعال	٩٣	تفضيل آدم على الملائكة
١٤٨	حسد بني إسرائيل	٩٧	أسباب هبوط آدم
		٩٩	دعوة بني إسرائيل إلى الإيمان
		١٠٢	معالجة النفس بالصبر والصلاة
		١٠٤	محاسبة المرء لنفسه
		١٠٦	تنكيل فرعون ببني إسرائيل
		١٠٨	إنقاذ بني إسرائيل
		١١٠	عبادة بني إسرائيل للعجل

الصفحة	موضوع البحث	الصفحة	موضوع البحث
١٧١	مطاعن بني إسرائيل في حقيقة الاسلام	١٤٩	مواربة بني إسرائيل ومغالطاتهم
١٧٤	مطاعن بني إسرائيل في مستقبل المسلمين	١٥٢	عناد بني إسرائيل
١٧٦	مطاعن بني إسرائيل في قبلة الإسلام	١٥١	لجاج بني إسرائيل
١٧٩	مطاعن بني إسرائيل في أساس التوحيد	١٥٣	كذب بني إسرائيل على أنفسهم
١٨١	مطاعن بني إسرائيل في الدعوة الإسلامية	١٥٤	تهافت بني إسرائيل على حب الحياة
١٨٣	لا سبيل إلى إقناع اليهود والنصارى بالحق واستمالتهم اليه	١٥٧	خصومة بني إسرائيل لكل داع إلى الحق
١٨٦	سر عظمة إبراهيم - القدوة الصالحة	١٥٩	مكابرة بني إسرائيل للحق
١٨٨	تطهير إبراهيم للبيت الحرام	١٦١	نبد بني إسرائيل للدين عند الاقتضاء
١٩٠	دعاء إبراهيم للبلد الحرام وأهله	١٦٢	عدم تورع بني إسرائيل عن اتيان الطرق غير المشروعة في سبيل أغراضهم
١٩٢	بناء إبراهيم قواعد البيت	١٦٦	مطاعن بني إسرائيل في رسول الله
		١٦٨	مطاعن بني إسرائيل الله في القرآن



الصفحة	موضوع البحث	الصفحة	موضوع البحث
٢٠٠	إصرار اليهود على تقليد آبائهم	١٩٣	رفع إبراهيم لقواعد البيت
٢٠٣	زعم اليهود أنهم أولى الناس بالحق والنبوة	١٩٣	دعاء إبراهيم بإيجاد أمة مسلمة
٢٠٤	زعم اليهود أن إبراهيم وأبناءه كانوا على ملتهم	١٩٥	الإسلام وإبراهيم
		١٩٦	وصية إبراهيم لابنه بالإسلام
		١٩٨	وصية يعقوب لابنه بالإسلام

## الخطأ والصواب

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
١١ ٣٠	الدروع	٢ ١١	ليشفكم
١٢ ٣٠	وكذلك	٣ ١٧	رغماني
١٢ ٣٦	وأرغبوا	١٠ ١٧	يجعل
١١ ٦٢	وقل في كل شيء وفي كل شيء له عهد	١١ ١٧	الآيات
٦ ٨٥	عقد	١٩ ١٧	مريبات
١ ١٦٤	بابتياعهم	٦ ١٨	التالوت
٧ ١٧١	إخراجها	٤ ٢٣	وميزات
		٣ ٢٩	المخلوقات

## فهرس أحكام آيات القرآن

الصفحة	موضوع البحث	الصفحة	موضوع البحث
١٠٧	الصبر وترقب الفرج	٥٢	البسمة
١٠٩	معرفة الله	٥٦	فاتحة الكتاب
١١٢	التوبة من المعاصي	٦١	تعميم دراسة القرآن
١١٤	تبدیل الأقوال المنصوص عليها	٦٣	نشر الدعوة الإسلامية
١١٦	طلب السقيا عند الجذب	٦٩	هل يجوز الحكم بمجرد العلم؟
١١٩	كفر المنعم والتبرم من قضاء الله	٦٩	هل للقاضي وقف التنفيذ؟
١٢١	الحكم على أحد بعينه أنه من أهل الجنة أو النار	٧٣	النفاق
١٢٣	التفكر في اعلاء الله	٧٧	الآيمان المعلقة
١٢٥	الاحتیال	٨٠	القرآن كلام الله
١٢٨	شرع من قبلنا شرع لنا	٨٢	تعليق العتق على البشرى
١٣١	علم الله الشامل	٨٤	ضرب الأمثلة في القرآن
١٣٤	تحريف كلام الله	٨٦	نقض العهد وقطيعة الرحم
١٣٥	الأخذ بالظن	٨٩	الأصل في كل شيء الحل
١٣٥	التقليد في العقائد	٩٢	التفويض لله فيما يستعصى فهمه
١٣٦	الكذب على الله بترويج البدع	٩٦	النهى الموجه الى شخصين
١٣٦	أخذ المال على الباطل	٩٨	الحذر من غواية إبليس
		١٠١	الجهر بالحق
		١٠٣	الاهتداء بهدى القرآن
		١٠٥	تذكر النعم وذكر الآخرة

الصفحة	موضوع البحث	الصفحة	موضوع البحث
١٣٩	التحرى في مستند الأحكام	١٧٥	التحكم في مصير الأمم
١٤١	تعظيم الوالدين	١٧٧	المساجد وصد الناس عنها
١٤١	من هم ذوى القربى ؟	١٨٠	نفي نسبة الولد إلى الله
١٤٥	الاعتداء على الغير	١٨٠	من يعتق إذا امتلك
١٤٥	التصرف في الأحكام بحسب الأهواء	١٨٢	آيات الله ومعجزات الرسل
١٤٧	الاحتكام للعاطفة	١٨٤	الجدل في الدين
١٤٧	الاحتكام للكبرياء	١٨٧	اتخاذ العظة من مواقف إبراهيم
١٤٩	الحسد	١٨٧	العدالة في الإمام
١٥٠	الصدق والصراحة	١٩٠	المحافظة على الأمن
١٥٢	الرضوخ للحق		في الحرم
١٥٤	إدعاء الإنسان ما ليس له	١٩١	إقضاء المعابد غير الإسلامية
١٥٦	التفاني في حب الدنيا		عن أرض الحرم
١٥٨	ذم الملائكة وكل داع للحق	١٩٤	تقدير العاملين
١٦٠	المكابرة ونقض العهد	١٩٧	اتباع ملة إبراهيم واتباع وصيته
١٦٤	السحر وما يؤخذ عليه من أجر	١٩٩	هل يحجب الجد الأخوة والأخوات
١٦٧	القذف بالكناية	٢٠٢	نشر الدعوة الإسلامية
١٦٧	ترجمة القرآن في الصلاة	٢٠٥	الاتباع والتقييد بما جاء من عند الله
١٧٠	النسخ في الأحكام		
١٧٣	الحسد		

## مطبوعات للمؤلف

تطلب من المؤلف شارع الدقي رقم ١٢ بالجيزة تليفون ٩٦٨١٦

### ميرة سيد ولد آدم

تحفة شعرية جمعت كل ما ينبغي عرفانه عن حياة النبي الكريم الروحية والخلقية والعلمية والعملية والاجتماعية، ومدرسته والشهادات التي يحملها ومبادئه السياسية وغاياته السلبية وخططه الحربية وتدابيره العسكرية ومدنيته وحضارته، والملاجئ والمصحات وجماعة الإسعاف والنظم الإدارية في عهده. كل ذلك في ألني بيت مصدره بكلمة قيمة لصاحب المعالي محمد حسين هيكل باشا.

### تائية الخطيب

خمسة آلاف بيت في سر تأخر المسلمين وحكمة التشريع الإسلامي ومبادئ الإسلام وغاياته والاستغاثة الكبرى مصدره بكلمة الدكتور طه حسين بك.

### مناجاة لله

قصيدتان في مجلد واحد إحداهما في التوحيد الخالص والإيمان الصادق والتصوف الصحيح، والأخرى في عقيدة السلف الصالح.

### نهج البردة وهمزية الخطيب

قصيدتان في حب الله ورسوله ومدحهما عليه أفضل الصلاة والسلام

### تحية للحبيب

ثلاث قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تبين مشروعية الزيارة وما ينبغي أن يتبعه المسلمون في أثنائها وهي تضمنت توسلا بأسماء الله الحسنى كل ذلك في أسلوب سهل يسر المحبين